لُغـــة مُنتَـــقِـع

تأليف/ أســماء عبد الجوّاد



لُغَــةُ مُنْتَفِــعٍ

تأليف/ أسـماء عبد الجـوّاد

الإسـكـنـدرية- ٢٠١٨

بســـــم اللّـــــه

إهــــــــداء

إلى كـل مُؤَذِّن يقـطـع ضـوضـاء العـالَم

لـيقـول:

اللّـــــه أكـــــبر

أحـبـكـم في اللّه ♥

الفهـــــــــرس

الـبـاب الأول:

مـنـتـفـع في الـعـصـر الـقـديـم

(مُنْتَــــفِــــــــع)... مَن؟

شخص ما، يعيش في عصرنا هذا، اسمه (مُنتفِع)، لكنه ليس على الأرض للمرة الأولى، فقد كان (مُنتفِع) يعيش في الأرض من قبل في عصر قديم، منذ مئات السنين! هو نفسه، ليس شخصًا آخر يُشبهه!

لمّا كان (منتفع) عائشًا على الأرض قبل مئات السنين كان حَكّاءً ماهرًا، بارعًا في سَرد الحكايات والأساطير وأسماء الملوك والمشاهير وأنسابهم وقصصهم.. كان يُجيد الحديث ويُتقِن التعبير ويجذب سامعيه ويسلب عقولهم ويؤثر في قلوبهم، والآن أيضًا، ما زال يمتلك الموهبة، لكنّه في

هذه المرة التي يعيش فيها (مُنتَفِع) على الأرض درس الإعلام، وتخصص فيه، وما زال يُتقن الكلام، ويمتلك أدوات اللغة.

ولكنّ حُب (مُنتفِع) للحكايات والأخبار- وخصوصًا الأخبار المُثيرة والسريّة منها- جعله في ذلك الوقت – لمّا كان عائشًا منذ مئات السنين – جعله يتسلل إلى البيوت في غياب أهلها، ويطَّلع على أدواتهم وأغراضهم ورسائلهم، ليعرف أسرارهم.. ثم يفِرّ هاربًا خائفًا قبل أن يرجعوا، وأحيانًا كان يسير في الطريق ليلًا فيسمع الأسرة تتجادل في بيتها، فيقف عند الباب يتنصَّت سِرًّا متشوِّقًا لمعرفة فيما يتجادلون، والآن أيضًا، في هذا العصر، (مُنتفِع) عنده صاحب "هَكَر"، قُرصان

يخترق هواتف الناس وحواسيبهم، ويسرق كلمات المرور، ويستولي على الصور والأرقام والمعلومات الشخصية، ثم ينقل لـ(منتفع) بياناتهم كلها.

في العصر القديم كان (مُنتفع) مُحبًّا للقيادة، يستمتع أن يأمر وينهى ويتبعه الكثير من الناس، لكنّ مؤهلاته لم تكن تسمح له أن يكون قائدًا للدولة أو للجيش ولا حتى لأي مجموعة فاعلة في المجتمع، ففكَّر في رعي الأغنام، فقط حُبًّا في الزعامة، فاشتغلَ راعيًا، يحدد لغَنَمه أين تأكل وأين تشرب وأين تَبيت، لم يكن (منتفع) راعيًا ماهرًا لكنه كان يجد اللذة في التحكُّم والتوجيه، حتّى وإن كانت الأغنام تنساق له وهي لا تعرفه. والآن أيضًا، يفعل (مُنتفع) الشيء نفسه، ليس راعيًا

للأغنام، ولكنّه أسس باسمِهِ صفحة على (فيسبوك) ومثلها على (تويتر) (وإنستغرام) وقناة على (يوتيوب)... وصباحَ كل يوم، قبل أن يقوم من فراشه، أول ما يفعله أن يفتح صفحاته ليرى عدد "المُتابِعين"، ثم ينشر أي شيء، مفيدًا أو غير مفيد، لكنّه جاذب للمُتابِعين ليزيد عددهم.

في العصر القديم، كان (مُنتفِع) له صَنَم يعبده، ويدعوه، ويُصلِّي له، ويسجد بين يديه، ويُقدِّم له القرابين، بل ويدعو الناس إلى عبادته، كان الصنم على شكل إنسان ضخم الحجم، منصوبًا في وسط المدينة، وحوله ساحة كبيرة، لا يمضي يوم إلا ويمُرّ (مُنتَفِع) من هذه الساحة ويسجد تحت قَدَمَي الصنم، ويشكره على النِّعَم التي يَمُنّ بها

عليه، ثم يُسلِّم (مُنتَفِع) على الرجال الجالسين في ساحة الصنم المعبود، ثم يمضي. والآن أيضًا، في عصرنا هذا، يفعل (مُنتفِع) الشيء نفسه، يعمل مُقدِّمًا للبرامج التليفزيونية.

- مُقدِّم للبرامج التليفزيونية؟! ما العلاقة بين أنه كان يعبد صنمًا في الزمن البعيد، وأنه يعمل الآن في تقديم برامج التليفزيون؟!

- حسنًا، لكي تتَّضِح تلك العلاقة يجب أن نرجع إلى قصّة الصنم الذي كان يعبده (مُنتفِع) في العصر القديم، فإذا عرفنا تاريخ (منتفع) في عبادة صَنَمِهِ سنفهم لماذا مجال عمله الآن..

اَلصَّنَــــم (نَجْـــــم)

ذلك الصنم الضخم، المنتصب في ساحة المدينة التي يسكن فيها (منتفع)، في الأصل كان رجُلًا حقيقيًّا يعيش بين الناس، رجُلًا عاديًّا، بل كان رجُلًا طيِّبًا وبسيطًا ، اسمه (نَجْم)، كان يعيش في تلك المدينة التي تُسمَّى (الْمُنْحَنِيَة)، ذلك لأنّها كانت تقع على البحر وكان في ساحلها انحناء، وبالتالي سُمِّيَت (الْمُنْحَنِيَة) وأهلها سُمُّوا "الْمُنْحَنُونَ"، نِسْبَةً إليها.

كان (نجم) يعمل حَمَّالًا يخدم التُّجّار، يُسافر معهم، يحمل لهم بضائعهم، ويُرسلونه إلى الأسواق ليستطلع لهم أخبارها. ولأنّ (نَجمًا)

يُسافر إلى كل مكان كان أهل مدينة (المُنحنية) يذهبون إلى بيته ويسألونه إلى أين رحلتك القادمة يا (نَجم)، ويطلبون منه أن يحمل معه رسالة إلى أحد أقاربهم أو أصدقائهم في تلك المدينة الأخرى التي يسافر إليها، لأنه في ذلك الوقت ما كان هناك أيّة وسائل اتصال حديثة، فكان (نَجم) هو نفسه وسيلةَ نَقل واتصال!

وكان (نَجم) يرحِّب بذلك، ولا يستثقل كثرة طلبات الناس، يُرحِّب دون أي ضيق، ويبتسم في تواضُع عندما يرى الرجل في (المُنحَنِيَة) يُودِّع أهله مُسافرًا، فيقول الأهل: مع السلامة يا حبيبنا، بيننا وبينك (نَجم).

يقصدون أنهم سيتراسلون عن طريق (نَجم).
فيفرح (نَجم) بذلك، ويشعر أنه يخفف عن الناس

أَلَم الفراق، ويُقرِّب بينهم المسافات، ويشكر اللهّ لأنه اختاره لهذه الخدمة.

والأجمل أن (نَجمًا) – رغم فَقْرِهِ- كان يفعل ذلك بلا أَجر، ولم يكُن حتى يقبل الهدايا، لمّا كان (الْمُمْتَحَنُونَ) يشكرونه ويضعون هديّة بين يديه كان يقول: خذوا هَداياكم، أنا لا أسافر خُصوصًا لأوصِّل رسائلكم، أنا أسافر لعملي، وبالمرة أحمل معي رسائل منكم أو إليكم.

فيُجيبون: ليست دائمًا رسائل يا (نَجم)، بل عطورًا أو أقمشة أو أطعمة أحيانًا.. وهذه ليست خفيفة.

فيرُدّ (نجم): إنْ تكُنْ رسالة فهي في جَيبي، وإن يَكُنْ صُندوقًا فهو على الدابّة مع بضائعنا، فاشكُروا الدابّة إنْ كنتم فاعلين!

فيُجيبون في حَياء: أخجلتَنا بكرمك ومروءتك يا (نَجم)! شُكرًا لك، بارك اللّه فيك وجزاك عنّا خيرًا.

يوم حزين:

ثم فزع (المُنحَنون) في يوم حزين، يومَ انقطعت العلاقات، وتباعدت المسافات، واستحالَ الاتصال، وتبددت الآمال، ذلك اليوم الذي مات فيه (نَجم)! حزن أهل مدينته عليه حُزنًا شديدًا، حزنوا أنهم خسروا رجلًا طيبًا شهمًا محبوبًا، ولأنهم فقدوا وسيلة اتصال دائمة بذويهم المسافرين، وشعروا كأنَّ أحبابهم الذين هم في مدينة أخرى، قد صاروا – بعد موت (نَجم)- في كَوكب آخر!!

على كل حال فكَّر أبناء مدينة (الْمُنحَنية) في تخليد ذكرى الرجل الطيب (نَجم) وفاءً له، فاتفقوا أن يصنعوا له تمثالًا، على هيئته، ويضعوه في وسط المدينة بالضبط، ليرمُز إلى أنَّ (نَجمًا) كان في مركز كل عائلة، وسيلة التواصل بين أفرادها شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا، ووافق والي المدينة على الفكرة، فقد كان وَسَط المدينة ميدانًا خاليًا، ليس فيه ما يُزَيِّنه! فوُضِعَ تمثال (نَجم) وحوله حديقة عامّة ومَقاعد، وكُلَّما مرّ عليه أهل المدينة تذكروا أفضاله فدعَوا اللهّ له بالرحمة والمغفرة.

مَن هذا؟!

مرَّت سنون وسنون، وتمثال (نَجم) في وسط مدينة (الْمُنْحَنِية)، وتعاقبت أجيال بعد أجيال، فصارت الأجيال الجديدة لا تعرف قصة التمثال على وجه

اليقين، لكنهم سمعوا مِن آبائهم أن هذا التمثال اسمه (نَجم)، وله علاقة ما بالتواصُل أو بالتخاطُب أو بالتبادُل.. أو بشيء ما قريب من هذا، ما كانوا متأكِّدين بالضبط، لكن كانوا يعرفون أنّ هذا التمثال رمز لرسائل ما.

والجديد أنّ (نَجمًا) بعد تلك السنين، قد صار تمثالًا فقط! حِجارة ترمُز إلى التراسُل، لا أحد من (المُنحَنينَ) يتخيَّل أنّ (نَجمًا) هذا كان رجُلًا عاديًّا من لحم ودمّ!! رجُلًا من بني آدم يُسافر ويعمل ليأكل ويتكسَّب! بل صار أهل (الْمُنحَنية) يظنون التمثال مَبنَى من مباني المدينة، مَعلَم من معالمها المشهورة، أسطورة خيالية من الأساطير!

رسالة من مَيِّت!:

وفي ليلة من ليالي الشتاء الباردة، مرَّ شاب من أهل المدينة في (ميدان نجم)، فجلس هناك وحيدًا في الحديقة، يتأمَّل الليل، ويفكِّر في حاله ومُستقبله، وضيق العيش الذي لا يرى له مَخرجًا، وكان أمام عَينيه ذلك التمثال الضخم، تمثال (نَجم)، وكان ذلك الشابّ مثل الجميع، لا يعلم ما هذا، لكن سمع أنّ هذا التمثال رمز لرسائل ما، فأخذ الشاب يتأمَّل ضخامة التمثال ويتساءل: "ما أضخم هذا التمثال! وما أعظم مَن بناهُ! يُقال إنه رمز للتراسُل، أوَليس عند هذا التمثال رسالة لي؟! أليس عنده أيّة كلمات يقولها لتُخرجني من متاهات هُمومي بسلام؟! لا بُدَّ أن يكون وراء هذا التمثال الذي يحتلّ قلب المدينة سِرّ! لماذا لم يجرؤ

أحد على هدمه عبر العصور؟! لا بُدَّ أن تكون له قُدرة ما يعرفها بعض الناس ولا يُخبرون بها أحدًا! مَن يُفكّ لي طلاسم هذا التمثال؟! عندي استثارة أن أبحث لعلّي أجد ضالّتي! لعلّه يُلهِمني رسالة تُغيِّر حياتي وتحقق أحلامي وأصعد بها من القاع إلى القمّة في أقصر وقت!".

(منتفع):

إنَّهُ (مُنتفِع)، ذلك الشابّ الذي كان يُفكِّر في سرّ التمثال، صاحبنا الذي عاش مرتين، وهذه قصته في العصر القديم، كان (منتفع) يبحث عن سر التمثال (نَجم)، ليفك طلاسمه، لعله يفوز منه برسالة تُسعِده وتُغنيه، فعكف على قراءة الكتب

القديمة، وحضور مجالس المؤرخين، وتعمَّق في دراسة تاريخ مدينته (المُنحَنية)، لكنه ما وجد أي ذِكر للتمثال (نَجم)!

وكان (منتفع) يُسافر إلى القُرى المُجاورة فيتعمَّد أن يذكر اسم التمثال (نَجم) في كلامه، لعلّ الناس يتكلَّمون عنه بما قرؤوا أو علموا من آبائهم، فيَرُدّ الناس: ما هذا؟ لا نعرف ما (نَجم)!

حتّى عَلِمَ (منتفع) عِلْمَ اليقين أنّ أهل (المُنحنية) على جهل تامّ بأصل التمثال وقصته وبنائه، وأنهم يمرون تحته نهارًا وليلًا، ولا أحد ينتبه، لا أحد يُبالي، لا أحد يُفكِّر في أصل التمثال!

قال (منتفع): إذن هذه هي الرسالة التي وصلتني من (نجم)! إذا كان لا أحد يعرف قصة التمثال،

ففُرصتي أن أستغلّ هذا الجهل فأنتفع به! لعلّ جهل الناس هذا هو ثمرة بحثي! هو الرسالة التي أرسلها إليَّ التمثال (نَجم) ليضعني على طريق الغِنى والسعادة! هذا التمثال حقًّا مُعجزة!

اكتشاف (نَجم)!

ولأنَّ (منتفعًا) – كما قلنا في البداية – كان ماهرًا في سرد الحكايات ورواية القصص، بدأ يحكي للناس- ناس مدينة (المُنحنية)- حكايات ألَّفها بنفسه عن الصنم (نَجم)! ويزعُم أنه وجدها في الكتب القديمة أو سمعها من بعض أهل القُرى المُجاورة!

وكان الناس يتلذذون بقصص (منتفع)! بسبب طريقته في الكلام، وبسبب أنهم أخيرًا عرفوا شيئًا عن هذه الكتلة الضخمة التي تحتلّ وَسَط (المنحنية)، ذلك التمثال الذي لا يعرفهم ولا يعرفونه، الآن صار مألوفًا، بل ومحبوبًا لهم!

- ولماذا محبوب؟

- لأنّ الحكايات التي كان يحكيها (منتفع) كانت تقول إنّ التمثال (نَجمًا) كان رجُلًا يعيش في الماضي، وكان عنده قوى خارقة، لأنّ اللّه وهبه زيادة في حساسية حواسّه، فكان يرى البعيد الذي لا يراه الناس، ويسمع الهمس الذي لا يسمعونه، ويشُمّ الخطر القادم ولا يشمُّونه... ولهذا صار رمزًا للرسائل، لأنّ المعلومات المهمة كانت تصل إلى الناس عن طريق قدراته الخارقة.

كان أَحَبّ ما يُمتِع (منتفعًا) أنّ أهل (المُنحَنية) منجذبون لكلامه، يلتفون حوله مبهورين، ويعترفون له بأنه أذكى منهم، وأنه سبقهم في التفكير في أمر التمثال (نَجم) الذي لم يلتفت إليه أحد، فكان هذا الاعتراف والمدح يُرضي (منتفعًا) ويُشعِره بالفخر والتيه.

دقيقة استراحة

يثبت الواقع أن كثيرًا من الناس- على اختلاف مستوياتهم العلمية، وفي الدول المتقدمة أو المتأخرة، يؤمنون فعلًا بالخرافات والقدرات الخارقة لبعض البشر، وكثير منهم إذا جلست معه حدَّثك عن خوارق أبيه أو جده أو صديقه أو قائده في الجيش أو الإمام في المسجد أو القس في الكنيسة... أو حتى خوارق الشيطان وأوليائه من الإنس، وهذا لأنّ هؤلاء لديهم استعداد داخلي للإيمان بالخوارق والانبهار بها، ولا يسعى أحدهم للبحث عن السبب العلمي لحدوث ظاهرة غريبة، أو التأكد من تاريخ شخص يعتقدون أنه صاحب معجزات.

سجَّلت وزارة الثقافة المصرية عددًا كبيرًا من الأضرحة بأسماء أشخاص تاريخهم مجهول تمامًا، يزور الناس قبورهم ويتبرَّكون بهم ويلجؤون إليهم عند الحاجة، دون أن يعرفوا معلومة واحدة عنهم! وأحيانًا يزور الناس الضريح وليس مدفونًا بداخله أحد أصلًا.

ليستمر الانبهار

بعد شهور، اعتاد (منتفع) كلمات الثناء من (الُمنحَنين)، فلم يعد يفرح بها كما كان قبل، بل واعتاد (الُمنحَنون) حكايات (منتفع) فلم تعد تشوقهم بالدرجة نفسها، ففكر (منتفع) في فكرة جديدة، كي لا ينصرف الناس عنه، غيَّر (منتفع) اسم التمثال من مجرد (نجم) إلى اسم (الرجل الصالح نجم) وفاجأ الناس أنه قرأ أكثر! وعرف أسرارًا جديدة من أسرار (نجم) التي لا تنتهي!

قال (منتفع): "أعزّائي أبناء (الُمنحنية)، لقد عزمت ألّا أكُفّ عن البحث في تاريخ (نجم)، رمز مدينتنا

العظيمة، ولقد تأكَّدتُ في مصادر عديدة أن (نجمًا) كان رجلًا صالحًا قريبًا من اللّه، أجرى اللّه المعجزات على يديه، ووعده ألّا تتوقَّف هذه المعجزات حتّى بعد وفاته، وأنّ اللّه سيظلّ يُجري هذه المعجزات على يد كل من يؤمن بـ(نَجم)، ويصلي له، ويعبده.

- " لهُ"؟! يعني لِمَن؟!

- يعني لِـ(نَجم).

ولكي يحبك (منتفع) مُبالغاته، صار بالفعل يسجد تحت قَدَمي التمثال، ثم يقوم ويأتي بمعجزة! يفعلها أيضًا أمام أعين الناس!

- معجزة؟! كيف؟

- نعم، لقد فعل (منتفع) معجزات كثيرة مُدهشة، لا يُصدِّقها عقل!! أو بالتحديد لا يُصدِّقها عقل من عقول أبناء (المُنحنية)! لأنهم لا يقرؤون.

لقد كان (منتفع) يقرأ، ويدرس، ثم يُجري تجربة معلومة ، لها أسباب ونتائج منطقية طبيعية، لكن لمّا ينفذها أمام الناس الذين يجهلونها كانوا ينبهرون: ها! ما هذا! كيف! يا سبحان اللّه! معجزة! أجراها (منتفع) بقوة (الرجل الصالح نَجم).

لم يكن (منتفع) شخصًا خارقًا، كان عاديًّا، بل كان دائمًا يكذب، كل ما في الأمر أنه كان يقرأ

كثيرًا، و(المُنحَنونَ) لا يقرؤون، يُحبّون أن يسمعوا، يتلقّوا أي كلام من أي أحد، كان من أهل المدينة الطبيب والقاضي والمعلم والمهندس.... لكنّ هواء المدينة كان الجهل، يتنفسه الجميع، بلا استثناء.

لم يُتعِب (منتفع) نفسه بتعلُّم السِّحر، كما يفعل الكثيرون من راغِبي السُّلطة والسَّيطرة، فقد كان يدري أنّ معرفة السِّحر ضرورية إن كانت مهمته خطيرة ومُعقَّدة، لكنَّ مهمته في (المُنحنية) بسيطة، فهو ينظر إلى أهلها أنهم طيبون وجُهلاء، وما أحلى أن تجتمع الطيبة مع الجَهل! في مصلحة (منتفع).

ولأنّ أبناء (المُنحَنية) تشرَّبوا أنّ (مُنتفعًا) يأتي بالمعجزات، فقد كان يُخبرهم بما يُخبِّئونه في بيوتهم، وما تكلمّوا فيها من أسرارهم، ولم يشكُّوا يومًا فيه، في هِوايته التي تكلَّمنا عنها في البداية، هواية التسلل إلى بيوت الناس والتنصت عليهم، بل كُلَّما كشف أمامهم أسرار بيوتهم كلّما أحبوه أكثر، وازدادوا إيمانًا به، وصدَّقوا بقدراته الخارقة، فيقول في تواضُع: ليست قُوَّتي يا أحبابي المنحنين، إنّها قُوّة (الرجل الصالح نَجم)! أو قوة اللهّ، لا بأس، قولوها كما شئتم، فقُوّة (نَجم) من قُوّة اللهّ، وقُوّة اللهّ تظهر في (نَجم). لا فرق بينهما.

دقيقة استراحة

فكرة توهُّم المعجزات ليست فكرة خيالية، فالحياة مليئة بأحداث عادية يحسبها بعض الناس معجزات لأنهم لا يعرفون أسبابها العلمية، ويبنون على الأوهام أفعالهم ومشاريعهم وقراراتهم.

يذكر الدكتور (عبد المحسن صالح) في كتابه (الإنسان الحائر بين العلم والخرافة) مثالًا على ذلك، أن الإمبراطور قسطنطين الأكبر قد اعتنق المسيحية بعد أن كان يُعاديها عداء شديدا لأنه في عام ٣١٢ م قد رأى معجزة! جاء إليه مَن يُخبره أن اللهّ قد أرسل إليه إشارة في السماء، فنظر فرأى صليبًا مُضيئًا مُعلَّقًا في الجوّ! فآمن بالدين المسيحي، والحقيقة أن هذا الصليب المضيء ظاهرة جوية طبيعية متكررة تنتج من انعكاس ضوء الشمس على ندف الثلوج المتساقطة من

السحاب تحت ظروف جوية خاصّة، فيظهر شريطان ضوئيان متعامدان أمام الشمس، يبدوان على هيئة صليب، فبنى الإمبراطور قسطنطين إيمانه بالله على وَهم! ولذلك يجب أن يحذر الناس من المُحتالين الذين يدَّعون أنهم يأتون بالمعجزات مُستغلّين جهل الناس بسنن الله الكونية، وما وَضعَ في العالم من قوانين علمية.

ماذا استفاد منتفع؟

لم يأخذ (منتفع) من أهل (الُمنحنية) مليمًا واحدًا، ولم يطلب منهم هدايا ولا امتيازات، فقد كان يدَّعي المعجزات ويحكي الحكايات فقط تلذُّذًا بالتفاف الناس حوله وانبهارهم بـ(نجم) الذي صنع أسطورته من خيال.

لكن..

لا بدَّ أنْ ذاعت شُهرة (منتفع) حتّى عرفه كل أهل الدولة، وسمع عنه (مُسَيْطِرُ بْنُ مُنْفَرِد)، وهو حاكم دولة (القطيع) التي تضُمّ مدينة (الُمنحنية)، وسُمِّيت دولة (القطيع) لأنَّ الُمسافر

يستطيع أن يقطعها في وقت قصير لسهولة أراضيها.

وكان الحاكم (مُسيطِر)- لخبرته في الرجال- عنده شكٌّ قويٌّ في معجزات (منتفع). فالأمر غريب. لكن لم يكن اهتمامه إن كان (منتفع) صادقًا أو كاذبًا. ليست هذه هي المسألة. المسألة هي كيف يمكن استغلال (منتفع)! كيف يمكن أن يكون صنمُهُ (نَجم) موظَّفًا فعّالًا في الحكومة.

أرسل الحاكم (مُسَيْطِر) أحد وزرائه المُقرَّبين إلى (منتفع). فطرق بابه ذات ليلة. واضطرب (منتفع) من الزيارة. وخشي أن يسأله الوزير عن حقيقة الصنم (نجم) فيكشف أكاذيبه ويأمر القاضي بسجنه. لكن لما دخل الوزير دارَ بينهما هذا الحوار..

- الوزير: كيف حالك يا (منتفع)؟ وكيف حال (نَجم)؟

- منتفع: أنا بخير والحمد للّه، أمّا الرجل الصالح (نَجم) فقد مات منذ قُرون.

- الوزير: ولكنّ رسائله إلى الناس لا تنقطع. أليس كذلك؟

- منتفع: بلى، صحيح.

- الوزير: هل تعرف آخر رسائله يا (منتفع)؟

- منتفع: نعم، آخر رسائله جاءتني عندما كنت أسـ.....

- قاطعه الوزير: اِسمعْ يا (منتفع)، أنا أعرف آخر رسائل صاحبك (نَجم)، لقد استشعر أن دولة

(القطيع) في خطر، ورأى جيوش الأعداء تتربَّص بها، ونصحنا بدعم جيشنا، وهذا يضطرنا لرفع الضرائب على الناس.

- منتفع: أنا قلتُ هذا؟! لا! ما قلتُ هذا!

- الوزير: أأنت وحدك تصلك رسائل (نَجم)؟ نحن نستقبل رسائله أيضًا. ألا تعرفُ!

- (منتفع) مندهش، صامت، لا يفهم..

- فأكمل الوزير كلامه: اِسمعْ يا (منتفع)، لستُ هنا لأتَّهمك بالكذب، فصدقك أو كذبك لا يُهِمُّنا، لكنني هنا لنعمل معًا، من الآن فصاعدًا ستكون أوامر الحاكم (مُسَيْطِر) هي رسائلك التي تصلك من (نَجم)، وعليك إبلاغها للناس باسم (نَجم)، انتهى الأمر، مفهوم؟

– منتفع: مفهوم!

– الوزير: سأزورك من حين إلى آخر، وأبلغك بقرارات (نَجم) الجديدة، سأقولها لك بلُغتي العادية، وعليك أن تصوغها للناس بلُغتِكَ، لغة مؤثرة في (المُنحنين)، مفهوم؟

– منتفع: مفهوم.

– الوزير: ستكون هذه الزيارات سرية، إيّاك أن تفلت من لسانك كلمة عنها، مفهوم؟

– منتفع: مفهوم.

– الوزير: إن اكتشفنا أنّك قد أخبرتَ أحدًا بهذه الزيارات سنفضحك في مدينة (المنحنية) وفي دولة (القطيع) كلها، وفي البلاد التي حول (القطيع)، وسننشر رجالنا في كل مكان يقولون للـ(مُنحَنين)

إنّك كذّاب ومجنون وخائن وعميل ومُخادِع وغشّاش.. وكل الخطايا التي فيك والتي ليست فيك. مفهوم؟

- منتفع: مفهوم. هل هناك مُقابل أحصل عليه؟

- الوزير: جيِّد! الآن بدأنا العمل. نعم، لك أجر لا تحلُم أن تحصُل عليه في حياتك، ستُصبِح غنيًّا، بشرط أن تبقى مُقنِعًا، أنت تعرف كيف يُصدِّقك (المُنحَنونَ)، وهذا ما نحتاج إليه، فكُلَّما ملأت عقول (الْمُنْحَنينَ) كُلَّما ملأنا جُيوبك. ولا تنسَ أنَّك تُقدِّم خدمة لوطنك العظيم، في مرحلة تاريخية، وهذا شَرَف كبير لك أننا اخترناك!

- منتفع: شكرًا على ثقتكم.

- الوزير: لم نثِق فيك بعد، نـحن نُجرِّبك، وفي انتظار النتائج.

(مُنتَفِع) و(نَجم) يعملان في الحكومة! :

انصرف الوزير.. ومنذ ذلك اللقاء صار (منتفع) مُجنَّدًا للحاكم (مُسَيْطِر)، يستقبل قراراته ليلًا، ثُمَّ يُصبح فيجمع الناس وينفِّذ أمام أعينهم أي معجزة سريعة ثم يقول إنَّ (نَجمًا) قد تنبَّأ بكذا وكذا، وأرسل إليهم ليفعلوا كذا وكذا، فلْيفعلوا!

لم يشُكّ (المنحنون) في (منتفع) يومًا، بل زاد يقينهم فيه.

- لماذا؟

- لأنَّ معجزات (منتفع) كانت محدودة النطاق في الماضي، أمَّا الآن فالحكومة صارت تدعم تنبؤات (منتفع) في الخفاء، لتزيد مصداقيته في أعين الشعب، فكان (منتفع) يقول للناس إن (نَجمًا) قد تنبَّأ بأن (المنحنية) ستحارب في تلك الجبهة، فيُصبح الحاكم (مُسَيْطِر) في اليوم التالي ويُرسل جيشًا إلى تلك الجبهة، فيتعجَّب الناس! ويقوى اعتقادهم في (منتفع).. وفي يوم يخبر (منتفع) أهل المدينة أن (الرجل الصالح نجمًا) ينصحهم أن يشتروا كل السُّكّر الموجود في مخازن الحكومة، لأن سعره سيرتفع عن قريب، فيُسارع الناس إلى شراء أكياس السكر الحكومي كلها، وبذلك تتخلص الحكومة من كل السكر الفاسد المتراكم لديها، ثم ترفع سعر السكر الجديد، فيشكر (المنحنون)

(منتفعًا) لأنه أنقذهم بهذه النصيحة الغالية...
ومثل هذا كانت أخبار كثيرة تُسَرَّب لـ(منتفع) من الحكومة، لتدعم معجزاته، فصار أصدق عند (المُنحنين).

أحرزت حكومة (القطيع) أهدافًا عديدة باستخدام (منتفع)، فصار بالنسبة إليها كنزًا ثمينًا، وأداة ضرورية، صار مثل أداة التحكُّم عن بُعد والشعب مثل جهاز، ضغطة على (منتفع) توجِّه الناس يمينًا أو يسارًا، تُغيِّرهم من حال إلى حال! وقد تضخَّمت ثروة (منتفع) الماليّة، وتضخَّم الناس جَهلًا وبُؤسًا!

(مُنتفع) تعبان:

استعبدت حكومةُ (القطيع) (منتفعًا) أيَّما استعباد، حتى وصل إلى درجة أنه اشمأز من نفسه ومن أكاذيبه الدائمة.

ذات ليلة فكَّر (منتفع) أن يقول لا!! كَفَى!! لن أخدع الناس بعد الآن!

لكنه تراجع وسأل نفسه: إنِ انسحبتُ من ظِلّ الحاكم، فهل سأدخُل في ظِلّ الشعب، طبعًا لا، سيرفضني الجميع، ولا أجد صديقًا ولا مُصدِّقًا ولا مكانًا ولا مكانة ولا مالًا ولا مأوى ولا أي شيء.. إنّ بقائي في الحياة مشروط ببقاء الأُسطورة التي صنعتُها، أسطورة (نَجم)، إذن ليس عندي خيار إلّا

أن أواصل طريقي، خادمًا لـ(مُسيطر)، مُمَجِّدًا لـ(نجم)، أميرًا على (المُنحَنين)! ..

لعنة اللّه عليك يا (نَجم)!

نهاية الحكاية في العصر القديم:

مع أنَّ (مُنتفعًا) فَقَدَ كرامته وإنسانيته لكنه حقق الشُّهرة والمال، وأمّا الحاكم (مُسَيْطِر بن مُنفرِد) فقد مرَّر قرارت تضمن له بقاء وقوة سُلطته.. وأمّا أبناء (المُنحنية) فماذا نفعهم من كل ذلك؟ لا شيء! أطاعوا (مُنتفِعًا)، وقدَّسوا (نَجمًا)، وخضعوا لـ(مُسَيْطِر)، وتحمَّلوا الخسائر كاملة وهم شاكرون حامدون!

الباب الآخر:

منتفع في العصر الحديث

برنامج (مـــــع مُنتفِـــــع)

- أهلًا بكم أعزائي الُمنحَـ.. آسـف.. المشاهدين، ضيفتنا الليلة نجمة من نجوم السنما والمسرح والتليفزيون والإذاعة وكل شـيء، بدأت رحلتها طِفلةً، ولقَّبها الجمهور بـ(الطفلة الُمعجزة)، واستطاعت في سنوات قليلة جدًّا أن ....

- أعزائي المشاهدين، يُسعدني ويُشرِّفني الليلة أن يكون ضيفي وضيفكم نجم من نجوم الأدب والصحافة، يستحق فعلا أن يُصنَع له تمثال تقديرًا لنضاله الطويل من أجل........

- الليلة معنا كَبتِن من الكَباتن الكبار، طالما هتفت الملاعب باسمه، نجم كبير من نجوم

الساحرة المستديرة، وهو ساحر بمعنى الكلمة، مشهور بتصويباته الخارقة، التي لا تُصَدّ ...

- أعزائي المشاهدين يسعدنا أن نستقبل أسئلتكم على الأرقام التالية.. ويجيب عنها شيخنا وأستاذنا ومعلمنا الفاضل الجليل.. وهو نَجم يُستضاء به في سماء العِلم، وهو رمز من رموز الفكر الديني المُستنير، وصاحب رسالة فريدة في ......

منتفــــع؟!

(نَجم.. مُعجزة.. تمثال.. خارق.. رمز.. رسالة) !!

أأنت منتفع؟!

لغتك! عرفناك من لغتك! ما زلت تستعمل الكلمات الضخمة نفسها! ما زال الناس يُصدِّقونك! ما زال الناس مُلتَفّين حولك، منجذبين لحديثك، مُعتقِدين في نَجمك!

غادرت الأرض منذ مئات السنين وعُدتَ لتعيش من جديد! والعجيب أنّ الناس صدَّقوك مرَّتين دون أن تُطوِّر لُغتك ولا أن تُغيِّر فيها شيئًا!

ما زلتَ تقذف جمهورك بالكلمات القوية في نَعْت مَن تُريد أن تُضَخِّم صورته، كلمات مِن مثل: نَجم، مُعجزة، قدير، مُبدِع، كبير، مُنقِذ، عبقري، رائد، فريد، فِدائي، مُضَحٍّ، شهيد،...

ما زلتَ تمدح الشخص نفسه، أكثر ممّا تهتمّ بالرسالة التي يُقدِّمها، فالبَطَل أهمّ من رسالة الفيلم، والمُرشَّح أهم من البرنامج الانتخابي...

ما زلتَ تتعمَّد أن تصوِّر نُجومك وكأنَّ كل واحد فيهم إنسان لا يتكرَّر، ما كان هناك مثله قبله، ولن يجيء مثله بعده!

ما زلتَ تُعظِّم في نَجمك دون أن تحدد لنا الطريقة، كيف نقتدي به، كيف نكون ناجحين مثله، لتوهمنا أن كل نجم من نجومك مثال خارق لا يتكرر، فعلينا ألّا نُحاول!

- نجمك مُؤَيَّد من اللّه، فربنا كَرَمه، ووفَّقه، وساعده، واختار له هذا الطريق، وألهمه، وفتح له أبواب الشهرة والنجاح، ما زلت لا تكلمنا عن اللّه

إلّا كمؤيد لـ(نجمك) ومُلهِم له، لا تكلمنا عن اللّه وحده!

- عاشق للألقاب، فكما سمَّيتَ التمثال (نَجمًا) في العصر القديم باسم (الرجل الصالح نجم)، الآن أيضًا تُسمِّيهم فارس كذا، ومِلك كذا، وسيِّدة كذا ، وأميرة كذا، وبطل كذا، .. عجيب أن يكون عندنا كُلّ هؤلاء الأبطال الخارقين وبلادنا لا تتقدَّم!

سؤال..

هل طرق باب بيتك أحد ذات ليلة في هذا العصر أيضًا؟

أذان

بعد تقديمات (منتفع) الطويلة، وأضوائه الساطعة، والضوضاء التي تفرض علينا نُجومًا وألقابًا، وصورًا، ومدحًا، وقصصًا، ومُعجَبين..

نحتاج أن نهرب بعيدًا.. بعيدًا عن زحام النجوم، والمدح، والمبالغة، والادِّعاء، والدعاية، والإلحاح، وتكرار الكلام، ...

بعيدًا نحتاج أن نذهب، في هدوء الطبيعة، وسِعَتها، ونقاء الجو ودفء الشمس، نحتاج أن نسمع صوتًا واحدًا، صوت "الأذان"، وحده، لا شيء يُشوِّش عليه، لا صوت فِلم ولا أغنية ولا إعلان ولا خُطبة سياسية ولا أخبار ولا برامج ترفيهية ...

نـحتاج لحظة صـمت وخشـوع، نسـمع فيـها:

"اللــــــــــه أكـــــــــــبر"!

نشـعـر بجمـالهـا الـعـذب المُريح، وقـوتها الـتي تطـمئن الـقـلوب، تنزل بـردًا وسـلامًـا عـلـى أرواحـنـا وآذانـنـا..

أذان

اللّه أكـبر..

أكـبر مـن كـل أحـد، ومـن كـل شـيء، مـن كـل مـا ومَـن سِـواه، اللّه أكـبر في قـلوبنا، في عـقـولنا، في حياتنا، اللّه أكـبر في كـل مـعـاني الـعـظـمـة.. بـكـل مـا عـنـده مـن صـفـات الجـمـال والجلال والـكـمـال!

أشـهـد أن لا إلـهَ إلّا اللّه..

(الرجل الصالح نجم) ليس إلهًا، وأي نجم ليس إلهًا، اللّه وحده هو الإله المعبود، واحد أحد، لا يُشاركه أحد، ليس له والِد ولا ولَد، وكُلّ مَن سِواه عَبد، كل من سواه يعيش عَبدًا، ويموت عبدًا ويرجع إلى اللّه يوم القيامة عَبدًا، فعلى كل (نجم) أن يتواضع، ويعرف ضعفه، فيعترف به، ويعيش عبدًا بلا ألقاب!

أشـهـد أنَّ محمدًا رسـول اللّه..

محمد، خَير خَلق اللّه، هو رسول، فقط رسول، رجل معه رسالة، يستقبلها من اللّه، يُسلِّمها للناس، ثم يرحل. حتّى الرسالة التي معه ليست باسمه،

رسالته ليست (المحمّدية) كما سمَّى الناس البوذيّة باسم (بوذا) والمسيحية باسم (المسيح).. رسالة (محمد) هي الإسلام، هي الاستسلام للّه وحده، ومحمد ليس إلا حامل الرسالة!

حيّ على الصلاة..

تعالَ إلى الصلاة، أقبِل.. أسرِع إلى الصلاة، اُترُك ضَوضاء (مُنتفِع)، وكلامه الكثير، ونجومه الخارقين، الذين ليسوا خارقين، اِنسَ كل هذا، واتصل باللّه، فالصلاة صِلة، بينك وبين اللّه الملِك، وكلما اتصلت به، أبصرت نور الشمس، فاختفت نجوم (منتفع)!

حي على الفلاح..

نسمعها، لكن ما معناها؟ ما معنى "الفلاح"؟! ، "الفلاح" هو "الفَوز"، المعنى الكامل لكلمة "الفلاح" في لغتنا العربية الجميلة هو: "الفَوز بما تُريد"! لمّا يدعونا اللّه للصلاة يدعونا لشيء نحن نريده! نحن نحتاج إليه! إذا أسرعنا إلى الصلاة فُزنا به! "حيّ على الفلاح" تعني "تعالَ لتظفَر بما تريد"! ليتفضَّل عليك اللّه بما تتمنّى أنتَ، أمّا (منتفع) فيدعونا ليظفر منّا بما يريد هو! ضوضاء (منتفع) تشوِّش علينا كي لا نسمع "حيّ على الفلاح" فنُفيق بها ونتذكَّر أنّ لنا أهدافًا نحتاج أن نفوز بها، ونحن غافلون نحسَبُ أننا خُلِقنا لنُصفِّق لنجوم (مُنتفِع) فَحَسْب!

اللّه أكبر اللّه أكبر..

مرة أخرى؟ لماذا؟ سمعناها في بداية الأذان فلماذا تتكرر؟

تتكرر لأنّ (مُنتفِعًا) كان يُقدِّم (نُجومه) في الوقت نفسه، فربما لم تستطع أن تسمعها بوضوح بسبب ضوضاء (مُنتفِع)، فتكررت مرتَين لتنتبه إليها، في الحقيقة سِتّ مرات، في افتتاح الأذان: اللّه أكبر اللّه أكبر، اللّه أكبر اللّه أكبر، وفي ختام الأذان: اللّه أكبر اللّه أكبر، ست مرّات لعل قلبك ينتبه أن كل ما تهتم به ويشد انتباهك وتراه كبيرًا، اللّه أكبر منه!

لا إله إلا اللهّ..

أيضًا سمعناها في بداية الأذان، فلماذا تتكرر؟ تتكرر لأنّ الضوضاء عالية جدًّا! الإلحاح شديد علينا كي لا نسمع، فلَربما لم نشعر بها في البداية، فعسى أن نشعر هذه المرّة! عسى أن تنفتح قلوبنا وتطمئن أن اللهّ واحد أحد لا شريك له، وكل ما سِواه عَبد.

نحن نعرف أن اللهّ واحد لكن معرفتنا به كمعرفتنا بخريطة العالم! نَعْلَمُ بلادها وعواصمها دون أن نزورها، دون أن نُجرِّب المعيشة فيها، هكذا عَلِمنا اللهّ وصفاته وأسماءه وكلامه دون أن نعايشها، وتتشربها قلوبنا، وتتذوق حلاوتها.

(لا إله إلا اللّه)، دعوة ليست مُوَجَّهة إلى الكافرين، بل يوجهها الأذان إلى المُسلِمين الذاهبين إلى الصلاة ! تعالَوا إلى اللّه، توجَّهوا إلى الإله الواحد، أنتم تستحقون أن تكونوا نجومًا تستقبلكم سماء بيت اللّه خمس مرات كل يوم، بل ووقتما تشاؤون.

أنتم مُكرَّمون عند اللّه، لستُم مخلوقات تافهة مهمتها أن تتابع (مُنتفعًا) ونجومه الكثيرين!

دقيقة استراحة

تِسلم إيدك!

أغنية غنّاها الفنان اليمني الموهوب (محمد الأضرعي) إهداءً إلى الملك سَلمان، حاكم المملكة العربية السعودية، لأن القوات السعودية تدخَّلت عسكريًّا ضد (الحوثيين) في اليمن.. تقول الأغنية:

تسلم إيدك يا بو فهد تسلم

وحدتنا يا القائد الملهم

على يدك شمل العروبة التمّ

وحقق الله نصرنا الأعظم

حطمت حلم الفُرس يا سلمان

وأنهيت مخططهم على الميدان

بحنكتك يا فارس الفرسان

شط العرب بالحرية ينعم

يا قائد الأمّة وفارسها

يا صقرها الجارح وحارسها

سلمان تشهد لك متارسها

والبيض تحجر لك وتترنم

العجيب أنّ اللغة المستخدمة في الأغنية هذه عام ٢٠١٧ م، هي نفسها اللغة التي استخدمها العرب مع ملوكهم منذ مئات السنين، دون تطوُّر أو تجديد، والعجيب أن هذه اللغة أيضًا هي نفسها التي أدَّت إلى تعالي الحكّام واستخفافهم بشعوبهم، ومع ذلك ما زلنا نستعملها!

ومع أنّ الفنان (محمد الأضرعي) فنان ثوري لكن الفرحة جعلته يمدح بلا وعي:

يقول "وحَّدتنا يا القائد الملهم" بينما اليمن لم يتوحَّد، ويقول "شمل العروبة التمّ"، ولم يلتمّ حتى الآن، ويقول "حقق اللّه نصرنا الأعظم" ولا نعرف أي نصر ذلك؟

وكي لا نطيل في تحليل الأغنية كلمة كلمة، فعمومًا كل المدح الموجود لإنجازات الملك (سلمان) في الأغنية لم يتحقق منه أي شيء!

مَن مَدَحَكَ، مَلَكَكَ

"مرحبا بكم على الهواء مُباشرةً، ضيفنا وضيفكم الليلة المُمثِّل والناشط السياسي المعروف الفَنّان (مُهْمَل مَقصود)، أهلًا بك أستاذ مُهْمَل، .."

فقط هذه هي الكلمات التي قدَّم بها (مُنتَفِع) ضيف حلقة الليلة! ما بالها قصيرة وفقيرة بالنسبة لما كان يتوقعه الأستاذ (مُهْمَل)؟! ليست عادة (مُنتفع) أن يُقدِّم نُجُومه هكذا باختصار! يبدو أن (منتفعًا) تعمَّد أن يستثني الأستاذ (مُهمَلًا) من وصلات المَدح المُطَوَّلة!

ترى على الشاشة وجه الأستاذ (مُهمَل) يحترق غضبًا! صدمة ما كان يتوقَّعها، لقد حضر إلى هذا البرنامج خاصَّةً من أجل تلميع (منتفع) المعتاد لضيوفه! كيف استثناهُ (منتفع) من القاعدة! يتمنّى الأستاذ (مُهمَل) أن يترك التصوير وينسحب، أو يَحدث أي عُطل وتُلغَى الحلقة ولا يتحاور مع (منتفع) قليل الذوق!

لا تُبالِ !

يتوهَّم بعض نُجوم (منتفع) أن هذا المدح والتنجيم والتفخيم يجعل منهم مُلوكًا، لكنّ الحقيقة، هي أن المدح يجعل من الإنسان عبدًا، عبدًا

للمدح والمادح، متى شاء المادح أن يُعذِّب الممدوح بخِلَ عليه بماء المدح فأهلكه تعطُّشًا إلى المديح!

بعيدًا عن ضوضاء (منتفع)، نذهب إلى سكينة ورشاد (محمد)، سكينة ورشاد رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم- ...

أتى رجل إلى رسول اللّه فلمّا نظر إليه وشاهد هيبته ووقاره، وسمته وجماله، ووجهه الجادّ بغير عُنف، وابتسامته الواثقة بغير ضعف... ثمّ لمّا تفكَّر الرجُل أنه يقف أمام رسول من اللّه، يستقبل المَلَك جبريل، ويُكلِّمه بالوحي... ارتعد الرجُل من الموقِف! اضطرب خشيةً وإجلالًا!

رأى رسول اللّه ذلك من الرجل، فماذا قال له؟

حثَّ رسول اللّه الرجل أن يُسهِّل الأمر على نفسه! وقال له أنا لستُ مِلكًا من الملوك، أنا رجل من الرجال، بل.. أنا ابن امرأة من قبيلة (قُرَيش) في (مكّة) كانت تأكل اللحم المملح المجفَّف! طعام الفقراء!

لم يكن ذلك الرجل يعرف ماضي (محمد)، ولا يعرف ماذا كانت تأكل أمه، لكن (محمدًا) هو الذي أخبره بنفسه أن أمه كانت تأكل طعام الفقراء.

العجيب أن ماضي (محمد) وتاريخ عائلته فيه الكثير من الأشياء التي يستطيع أن يفخر بها إنْ شاء، فهو ابن أشرف قبيلة في (مكة) ومن عائلة لها احترامها وثقلها وأخلاقها الحميدة بين العرب جميعًا، ويرجع نسبها إلى النبي إسماعيل ابن النبي إبراهيم (عليهما السلام)، لكن (محمدًا) لا

يريد أن يفخر، محمد مُسْتَغْنٍ.. أنا في غنى عن المظاهر، هذا يراني فيرتعد من هَيبتي، وهذا يكون جالسًا فيقف إذا دخلتُ، وهؤلاء يريدون أن يخدموني وأنا أتَّكئ وأستريح....و .. و .. و .. ما علاقة كل هذا بالرسالة؟! أنا رسول يا قوم لا مَلِك، رجُل معي رسالة من اللّه، أريد أن أسلِّمها إلى الناس، كاملة صحيحة، ثم أمضي وأترككم، وينتهي الأمر.

أنا الرسول، لا تجعلوني الرسالة!

لا تجعلوني أنا الموضوع الذي تتحدثون عنه وتنشغلون به، لا تجعلوني أنا الـ(نجم) الذي تهابونه وتحتفلون به.. إنكم لا تحتاجون أن تفعلوا لي هذا.. وإنني لا أحتاج إلى هذا منكم!

(محمد) القويّ لا يتعالى ويتباهى حتى يجيء بعض أعدائه ويفتشون في ماضيه وفي أصله وفي أسرته، فيقولون للناس: هل نُخبركم ماذا كانت تأكل أم (محمد)؟ لقد كانت تأكل القديد!

لا لا، تعالوا أخبركم بنفسي ماذا كانت تأكل أمي، وليس عيبًا أن تأكل القديد، إنما العيب أن يفتح الإنسان فمه مُتعطِّشًا إلى قطرة مديح!

تواضُع اليوم:

قد يُرَدّ البعض:

- كثير من نجوم اليوم هكذا يفعلون، نسمع الفنانين يحكون عن أسرهم الفقيرة وأيامهم الصعبة، ويحكي لاعبو كرة القدم عن ماضيهم لمّا

كانوا أطفالًا يلعبون كرة القدم في الشارع بأقدام حافية..

- صحيح.. لكن الأمر يحتاج إلى تدقيق..

نعم نرى كثيرًا من المشاهير يحكون عن ماضيهم البسيط، بتواضُع، ولكنّه أحيانًا تواضع على قمّة الكِبر!

كيف؟

يقولون كُنّا فقراء، كُنّا ضعفاء، كُنّا مغمورين، ... فتبرز المعجزة التي حققوها إذْ صاروا أغنياء أقوياء مشهورين!

الفرق أن النجم اليوم يقول: "أنا كنت" ابن الفقراء، لكنّ رسول اللّه يقول: "أنا" ابن الفقراء، (محمد) لا

يصوغ حديثه بصيغة "ماضٍ وانتهى"، و"فَقر وانقلب"، بل يقول كيف يرى نفسه الآن!

هل ذلك المُغنِّي الذي يتحدث عن ماضيه الفقير إذا دخل إلى المسرح فتعالت صرخات الجمهور وصياحهم احتفاء به، هل يقول لهم: لماذا تصرخون هكذا! أنا إنسان عادي ابن أسرة فقيرة، لا تصرخوا يا شباب.

هل ذلك الكاتب المشهور الذي يتزاحم الجمهور ليوقِّع لهم على نُسخة من كتابه، هل يقول لهم: إنني رجل بسيط، وتوقيعي لا قيمة له، المهم أن تصلكم الرسالة التي في الكتاب.

هل لاعب كرة القدم الذي يصطف له الناس يمينًا ويسارًا ويمدون أيديهم لتلمس أطراف أصابعهم شيئًا من يده، هل يقول لهم: يا إخواني! لا تفعلوا هكذا! أنا لستُ ملكًا! فلا تصنعوا منِّي مغرورًا!

هل ذلك الرئيس الذي يدخل القاعة فيهُبّ الناس من مقاعدهم ليقفوا له إكبارًا، هل يقول لهم: لا تقفوا، كل ما في الأمر أنني دخلت! أنا ابن امرأة كانت تأكل (الفول والطعمية)، ومازلت غلبانًا! لم يتغيَّر في حياتي إلا أنني ما كنت أحمل المسؤولية، والآن أحملها.

خُلُق طيب أن يتحدث النجوم عن ماضيهم البسيط، لكن شرط أن لا يصوغوه بصيغة المُجاهِد الذي حقق المعجزة فصعد من السفح إلى القمّة بكفاحه العظيم!

دقيقة استراحة

في أثناء تأليف هذا الكتاب، حاولت أن أقابل أصدقاء من جنسيات مختلفة لأُعِدَّ قائمة بأشهر الألقاب التي تُستعمَل في بعض الدول لوصف السياسيين والرياضيين والفنانين، والعجيب أنّ كل جنسية غير عربية سألتها، كانت تفكر لوقت غير قصير، ثم تعطيني قليلًا من الألقاب، وأحيانًا لا تجد أي لقب، لكن لمّا أسأل أصدقائي المصريين، أحصل على قائمة طويلة في أقل من دقيقة!

العندليب- موسيقار الأجيال- كوكب الشرق- نجم الجيل- الزعيم- الأسطورة- الفرعون المصري- الملك- الهضبة- سندريلا- وحش الشاشة- سيدة الشاشة- ....

فأيقنتُ أنّ إطلاق الألقاب هواية عربية!

فريضة القِيام!

نعرف من ديننا "سُنّة القيام"، وهي الصلاة التي يتطوَّع بها المسلم ليلًا، نافلةً من النوافل غير فريضة! فما "فريضة القيام" إذن؟!

فريضة القيام هي طاعة جديدة أمر بها (منتفع)، فمتى ما كان ضيف الحلقة (نَجمًا) لامعًا، يملأ (منتفع) المكان بالشباب، ويعطي تعليماته قبل التصوير: يا شباب، إذا دخل الضيف قوموا واقفين، وصفِّقوا، وصيحوا واهتفوا، ليس من اللازم أن تركعوا وتسجدوا لأنّ هذا لن يعجب المشاهدين، لكن المهم أن تقوموا، وإذا قال (النجم) كلامًا مُضحكًا أو كان يظن أن كلامه مُضحك،

اضحكوا بشدّة وصفِّقوا، وإذا قام يغنّي فقوموا واقفين، وارقصوا، وغنّوا معه، وصفِّقوا، وإذا انتهى وجلس فصفِّقوا واهتفوا، وإذا ضحك فصفِّقوا، وإذا دمعت عيناه فصفِّقوا، وإذا أي شيء فصفِّقوا.. وإذا انتهى اللقاء وقام (النجم) لينصرف فقوموا واقفين، وصفِّقوا، وأخيرًا ودِّعوهُ بتسليمَتين عن اليمين وعن اليسار، وتقبل اللهّ منكم يا شباب.

اجلسوا:

يقول (أنس بن مالك)- أحد الأطفال الذين تربَّوا في بيت (محمد) حتى صار رجُلًا، يقول عن رسول اللهّ- صلى اللهّ عليه وسلم-:

".... وكانوا لا يقومون له، لِمَا يعلمون من كراهيته لذلك".

كان الجالسون، إذا دخل عليهم رسول اللّه، فسلَّم عليهم، سلَّموا عليه وهم جالسون، ليس تكاسُلًا منهم ولا استخفافًا بمكانته، لكنهم يعلمون أنّ رسول اللّه يكره أن يقوموا له!

- يكره؟!

- نعم! يكره، ليس فقط لا يريد، أو لا يُفضِّل، بل "يكره".

- ولماذا يكره؟

- لأن (محمدًا) يؤمن أن البشر كلهم عبيد للّه، ولأنّ (محمدًا) قويّ، لا يحتاج من الناس أن يقوموا له ليُعرِّفوه مقامه، فهو يعرف مقام نفسه والحمد

لله، وأيضًا يكره (محمد) أن يقوم الناس له لأنّه فَطِن إلى القاعدة : "مَن مَدَحَك، مَلَكَك".

كأن رسول الله يُعلِّمنا أنَّ الذين يقومون لك عندما تدخل فيرفعوك، يستطيعون أن يكسروك، عندما تدخل يومًا فيتعمَّدوا ألَّا يقوموا لك!

إن الصحفيين الذي يتسابقون على تصويرك لمّا تدخل الحفل، يومًا ما سيتجاهلونك فتتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعك!

إن مديرك في العمل الذي يقول لك" أنت ذراعي الأيمن ولا أستغني عنك"، قد ملكك، فلا تستطيع أن ترفض له طلبًا، وإنْ أمرَكَ بما لا يُرضِي ضميرك.

إن حبيبكِ الذي يقول لك: "لن تجدي مَن يحبك مثلي"، أرضى غرورك أنك تعنين له الدنيا وما

فيها، فجعلك تكتفين بحُبه لك وتنسين أنه من حقك أيضًا أن تختاري مَن تحبين، ولا يجب عليكِ أن تُهدِي نفسك إليه لمجرد أنه اختارك! لكنّهُ وضعكِ في السجن: لا تبحثي.. فلن تجدي!

مَن مدحَك، مَلَكَك.. كل هؤلاء المادحين- بقصد أو بدون قصد- تحكَّموا فيك وجعلوا أنفسهم جزءًا من ثقتك بنفسك، إنْ مدحوك اكتملت ثقتك، وإن لم يمدحوك نقصت أو انهارت!

مَن مدحكِ: "أنتِ جميلة"، قد يريدك أن تُلغي عقلك.

ومَن مدحكَ: "أنت مؤدَّب"، قد يريدك أن لا ترُدّ الإهانة.

ومَن مدحكَ: "أنت صريح"، قد يريدك أن تفضح أسرارك بلسانك.

ومَن مدحكِ "أنا واثق أنك صبورة "، قد يريدك أن تتحملي سخافته أكثر، أمّا إنْ قال لكِ "أنتِ صبورة على إهانة الناس"، فقد يريد أن يستفزَّك لتتهوَّري عليهم..

مجاملة غير مقبولة:

يُكلِّم رجلٌ رسول اللهّ فيقول: "ما شاء اللهُ وشِئتَ."

فيرُدّ (محمد): "أجعلتَني للهِّ نِدًّا ؟!! ما شاء اللهّ وحدَهُ!!"

أراد الرجل أن يُعظِّم رسول اللّه ويُظهِر له المحبّة، فجعل الأمر تحت مشيئة اللّه ومشيئة رسوله.. ولكن (محمدًا) القويّ لم يسمح! ونهى الناس عن قَول هذا، وكأنه يقول لهم..

أيُّها الناس!

هل قلتُ لكم ذات مرّة "لا إله إلا اللّه وأنا"؟

لا! بل جئتُكم أقول لكم "لا إله إلا اللّه، وحدهُ لا شريك لهُ"، ثم بعد ذلك يقول لي أحدكم: "ما شاء اللّه وشئتَ"!

من أين جئتم بهذه الفكرة؟!

هل تظُنّون أنّ مجاملتكم ستُسعدني؟! شكرًا، أنا مُستغنٍ عن هذه السعادة، كلمات المدح والثناء

والإعجاب والتعظيم والتفخيم والتنجيم .. لا علاقة لها بهدفي!

يُعلِّمنا رسول الله أنه لو استسلمتَ لكلمات المدح لتُقوِّيك، فستستسلم لكلمات الذمّ فتكسرك.

وبالفعل، فقد سمع (محمد) كلمات ذمّ كثيرة ولم ينكسِر، أراد الكُفّار أن يُوهموه أنه شؤم، ونَحس، وأنَّ الكوارث تحدث لهم بسبب وجوده بينهم، وعن ذلك يقول الله- تبارك وتعالى- في سورة النساء:

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ، وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ، قُلْ كُلًّ

مِّنْ عِندِ اللّهِ، فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ ٧٨

إذا حدثت المسرات قال الكُفّار: الحمد لله، نعمة من الله، وإذا حدثت المضرّات قالوا: نعوذ بالله، هذا شُؤم محمد!

وبالثبات والثقة نفسها يرُدّ (محمد) على الذامّين كما ردّ على المادحين، وكأنّه يقول: يا إخواني! أنا لستُ سببًا في الخير ولا في الشرّ! أنا رسول يا جماعة، معي رسالة من اللهّ إليكم، سأعيش أبلغها ثم أموت، لا علاقة لي بما تلقَونه من حظ سعيد أو حظ سيء، لا تنشغلوا بي أنا، انشغلوا بالرسالة، سأذهب أنا وستبقى هي، أنا إنسان من بين ملايين الناس، لكن الرسالة واحدة، من رب واحد.

فقضى رسول اللّٰه حياته حُرًّا، لا مجبورًا بمدح، ولا مكسورًا بذَمّ،

صلى اللّٰه عليه وسلم!

دقيقة استراحة

(العقد المنظوم في ذِكر أفاضل الروم)

كتاب يجمع أخبار عدد كبير من الشيوخ المسلمين، جمع سيرهم وأخبارهم مؤلف الكتاب (علي بن لالي بالي) المتوفَّى قبل ٤٥٠ عامًا تقريبًا.

ومَن يقرأ في الكتاب يجد أن مؤلفه بذل فيه مجهودًا كبيرًا واضحًا، لكن الكتاب يجعلك تتعجب من أمرين:

- المبالغة الشديدة في وصف القدرات الخارقة للمشايخ.

- أنَّ الكتاب وُضِع في مرحلة تدهور عام للدولة الإسلامية! فأين كانت إنجازات هؤلاء المشايخ؟

الحقيقة أنّ هذه اللغة التي كتب بها (علي بن لالي بالي) كتابه هي نفسها كانت- وما تزال- سببًا من أسباب تدهور بلادنا.

إنّ الثقة العمياء في أولياء الأمور، كالحاكم، أو الشيخ، أو المعلم، أو الأب، أو الأم.. أو أي صاحب سُلطة، دون مساءلتهم على أفعالهم، ليس فقط يؤدي إلى استبدادهم، بل ويؤدي أيضًا إلى انتشار الجهل.

لأنّ الشعب الذي لا يُدير أموره بنفسه، ولا يصوغ شكل مجتمعه، ولا يحدد خط سير بلده، ولا يتخذ بنفسه القرارات السياسية والدينية والاجتماعية.. ذلك الشعب يستسلم للجهل، فهو لا يحتاج أن يتعلم، لأنّ هناك ناسًا متخصصين يفكرون ويقررون،

صفحتان مأخوذتان عشوائيًّا من كتاب (العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم):

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصراً وإن عزّ أنصار وجلّ قبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك ضللت ولو أن السماك دليل

(وممن انخرط في سلك هؤلاء السادة وسلك مسلك أصحاب الفوز والسعادة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ جمال الدين الشهير بشيخ زاده)

ولد رحمه الله في قصبة مرزيفون ودخل وهو شاب في زمرة أرباب الاستعداد فاجتمع مع أفاضل عصره واستفاد حتى وصل الى خدمة المولى حافظ العجمي وهو في احدى المدارس الثمان ولما صار المولى محمد القره باغي مدرسا بمدرسة السلطان أورخان بقصبة ازنيق جعله معيداً لدرسه فلما توفي المولى المزبور ترك المرحوم طريقة العلماء واتصل بالمولى المشتهر بعرب جلبي وهو مدرس بمدرسة قاسم باشا بقصبة أبي أيوب الانصاري فقام على أقدام الاقدام واهتمّ في تحصيل المعارف غاية الاهتمام فمهر في العلوم العربية والفنون الادبية وتميز في الحديث والتفسير وعلوم الوعظ والتذكير ثم ولي مدرسة دار الحديث التي بناها محمود الدفتري بقصبة أبي أيوب الانصاري وعين خطيبا بجامع قاسم باشا يسر الله تعالى له في عقباه ما يشا وكان حسن النغم طيب الالحان من جملة من يتغنى بالقرآن وكان يرتل الخطب بصوت أحلى من الرطب ثم عين له وظائف الوعظ والتذكير في عدة من الجوامع فاعتنى بنقل الاحاديث والتفاسير وقد بلغت وظيفته كل يوم الى سبعين وتميز من أقرانه المفسرين وتوفيّ سنة احدى وسبعين وتسعمائة كان رحمه الله من أجلة العلماء وأكابر الفضلاء وقد حضرت مجلس تفسيره ومحفل وعظه وتذكيره فوجدته في تحقيق المقام وتدقيق المرام واصلا الى الغاية وبالغا الى النهاية وكان لا يكتفي بالايماء والترشيح بل يبالغ في التصريح والتوضيح بحيث يلحق ثواني المعقولات باوائل المحسوسات ولا يحترز عن التكرار والاعادة حرصا على التعليم والافادة وبالجملة كان وحيدا في طريقته وفريدا في ضيعته ويكفيه يوم مباحثاته ومفاخرته ماكتبه أبو السعود في صورة اجازته.وهذه صورة الاجازة كتبتهابالتمام لغاية حسنها ونضارتها : اللهم رب

الارباب مالك الرقاب منزل الكتاب محق الحق وملهم الصواب صل وسلم على أفضل من أوتي الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله الاوتاد وصحبه الاقطاب (وبعد) فلما توسمت في رافع هاتيك الارقام زين العلماء الاعلام الالمعي الفطن اللبيب واللوذعي اللقن الاريب ذي الطبع السليم الوقاد والذهن القوي النقاد العاطف لأعنة عزائمه ابتغاء مرضاة الله من غير عاطف يثنيه والصارف لازمة صرائمه نحو تحصيل زلفاه بلا صارف يلويه الساعي في تكميل النفس بالكمالات العلية بحسب قوّتيه النظرية والعملية سليل المشايخ الاخيار نجل العلماء الابرار مولانا الشيخ عبد الرحمن ابن قدوة العارفين الشيخ جمال الملة والدين وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه وأتاح له في أولاه وأخراه ما هو له أولاه وأحراه دلائل نبل ظاهر في الفنون ومخايل فضل باهر في معرفة الكتاب المكنون أجزت له في مطالعة الكتب الفاخرة واقتناص العلوم الزاخرة التي ألفها اساطين أئمة التفسير من كل وجيز وبسيط وصنفها سلاطين أسرة التقرير والتحرير من كل شامل ومحيط واستخراج ما في مطاويها من الفوائد البارعة واستنباط ما في تضاعيفها من الفرائد الرائعة وسوغت له افادتها للمقتبسين من أنوارها الرائقة تفسيرا وتقريرا وللمغتنمين من مغانم آثارها عظة وتذكيرا على ما نظمه بنان البيان في سمط السطور ورقمه يراعة البراعة في طي رقها المنشور حسبما أجاز لي شيخي ووالدي المرحوم بحر المعارف ولجة العلوم صاحب النفس المطمئنة القدسية محرز الملكات الانسية المنسلخ عن النعوت الناسوتية الفاني في أحكام الشؤون اللاهوتية العارف باطوار خطرات النفس الواقف على أسرار الحضرات الخمس مالك زمام الهداية والارشاد حجة الحق على كافة العباد محي الشريعة والحقيقة والدين محمد بن مصطفى العماد المجازله من قبل مشايخه الكبار لاسيما أستاذه الجليل المقدار الجميل الآثار الحبر السامي والبحر الطامي الصنديد الفريد والنحرير الحميد المجيد عم والدي علاء الملة والدين المولى الشهير بعلي قوشجي صاحب الشرح الجديد للتجريد واستاذي العلامة العظيم

طبعا الأوصاف التي يصف بها (علي بن لالي بالي) العلماء- مع احترامنا له ولهم- تقتل مواهب الجيل الصاعد..

فإذا لاحظت الجمل التي تحتها خط، تجد المؤلف يصف شيوخه بعبارات مثل: "واصلًا إلى الغاية، وبالغًا إلى النهاية".. يعني يقول للجيل الصاعد لا تحاولوا أن تتفوقوا على هذا الشيخ فلن يكون هناك مَن هو أحسن منه.

وفي وصف آخر يقول: "المُنسلِخ عن النعوت الناسوتية، الفاني في أحكام الشؤون اللاهوتيّة". طبعًا هذه الأوصاف لها بريق مُبهِر، لكن في جوهرها لا تعبِّر عن إنجاز محدد، وهي كما قلنا قتل للمواهب الصاعدة، فهل يتصوَّر أن تسأل طفلك،

ماذا تحب أن تكون لمّا تكبر، فيقول: أتمنى أن أنسلخ عن النعوت الناسوتية وأفنى في الأحكام الإلهية!

بالتأكيد لا!

كل هذه الألقاب التي نطلقها على النابغين- بحُسن أو سوء نية- مثل: الفتى الأول، الساحر، الزعيم، حُجّة الإسلام، .... هي قتل لكل المواهب الشابّة، هي باختصار:

لا تُحاول

فلن تكون مثلهم.

تأمُّل عجيب:

أخبرنا رسول اللهّ- صلى اللهّ عليه وسلم- أنه سيأتي زمان يكون للمؤمن الواحد فيه أجر خمسين من أصحابه! خمسين من الجيل الأول! جيل الخير!

عجيب!

وكأنّ رسول اللهّ يقول لك: حاول، النُّبوغ ليس حِكرًا على جيل دون جيل!

الأوثان.. ليست عشوائيّة

صوَّرت لنا كتب وأفلام دينية أنَّ (محمدًا) أُرسِل إلى جماعة من البُلَهاء، الذين كانوا يصنعون أصنامًا من حجارة، ومن عجوة، يعبدونها، ثمَّ إذا جاعوا أكلوها، ويطوفون عُراة حُفاة حول الكعبة يصفِّقون ويُصَفِّرون، لأنَّهم شربوا الخمر ولا يدرون ماذا يفعلون.

وكل ذلك كان يحدث، ولكن..

هل كان العرب في الجاهليّة يعبدون الأصنام لأنهم أغبياء، لا يُدركون ما يفعلون؟!

هذا غير معقول! فالعرب قبل الإسلام كانوا أهل حِكمة وكَرَم ولُغة وشِعر ... ما كانوا جماعات بدائيّة تلبس ورق الشجر وتسكن الكهوف!

وقد أنزل اللّه- سبحانه وتعالى- عليهم القُرآن كتابَ حكمة، ممّا يعني أنّ لهم عُقولًا يقرؤونه بها.

فكيف إذن رضُوا أن يعبدوا الحجارة والعجوة، التي صنعوا منها أصنامهم؟!

الواضح أنّهم ما رضوا بذلك، بل تراضوا على ذلك، أيْ: كانت لهم منفعة!

فلْنتخيَّل المجتمع الجاهلي بكل عاداته وأنظمته التي عرفناها، ولكن نتخيله بدون أصنام، نتخيله أن كل طاقة الناس الروحية ذهبت إلى اللّه الأحد الذي لا شريك له، نتخيَّل أنهم شعروا بقوته

وحدهُ وسلطانه وهيمنته على الكون، وامتلأت قلوبهم بالتوحيد، بحُبّ اللّه والتوكُّل عليه، وأنهم حكموا بشرع اللّه ... نتخيَّلُ لو كان هذا موجودًا في الجاهليّة (قبل الإسلام)، هل كان سيستمر نظام "السيِّد والعبد" في المجتمع؟ هل كان سيستمر نظام "زعيم القبيلة المُطاع" إنْ عدَل وإنْ ظلَم؟ هل كان سيستمرّ نظام "الانتماء الأعمى للقبيلة" والفتْك بكُلّ مَن يُعاديها ولو كان صاحب حقّ؟!

لا شكّ أن إجابة الأسئلة "لا"، والدليل على ذلك أن كل هذه الأنظمة سقطت بعد دخول الإسلام إلى مكّة،

إنّ زعماء مكّة كانوا يُدرِكون أن التوحيد خَطَر على مصالحهم، فلذلك قضوا أعمارهم يُشَوِّشون على

الناس بجيوش من أصنام حجرية، لا تسمع ولا تفهم، كلما مشى الإنسان في طريق وضعوا له صنمًا يُحيِّيه، وكُلَّما دعا الإنسان: "يا اللهّ"، أسرع إليه الذين حولهُ: "الصنم يسألك ماذا تريد؟"، وإذا أراد الإنسان أن يطوف حول الكعبة وضعوا له أكثر من ثلاثمئة صَنَم تُراقبه، وإذا اجتهد الإنسان أن يتجاهلها فلا ينظُر إليها دخلت جماعات الطائفين بالكعبة يُصفِّرون ويُصفِّقون ويخلعون ملابسهم ويصيحون بأسماء الآلهة المكذوبة.. حتّى يعجز ذلك الإنسان أن يسمع صوت نفسه!

وهذه هي وظيفة الأصنام، ضَوضاء! ضباب! كي لا يُسمع كلام اللهّ، ولا يُرى نور اللهّ.

يقول اللهّ تبارك وتعالى:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة٣٢

يريدون أن يطفئوا نور اللهّ، لأنه ساطع جدًّا، تختفي معه كل الأنوار غيره، وينزل الحُكّام والقادة ونجوم الفن والرياضة والعلم.. من مرتبة (نُجُوم) إلى مرتبة (عبيد)، سواسية مع الناس، كل ما يُميِّزهم موهبة وهبهم اللهّ إيّاها، لكنهم ليسوا خارقين ولا مُعجِزين ولا عمالقة!!

من العجيب أنّ زعماء مكّة رفضوا رسالة (محمد) وقالوا كذّاب، ونحن الأسياد ولا سيادة لغيرنا، ثم لمّا وجدوا رسول اللهّ مُصِرًّا على إتمام رسالته، قالوا

له: طيب، هل تريد أن نجعلك سيدنا وتترك الرسالة!

إذن لا مانع لديهم أن يتركوا السيادة لمحمد! إذن الأمر ليس محمدًا!! الأمر هو نور اللهّ، الذي يجب أن ينطفئ!!

أنا مــثلـــكــــم

" إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ، يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ، فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ". سورة فصلت ٦

يقول رسول الله للناس أنا إنسان مثلكم.

- مِثْلُكُم!! هكذا يقول الرسول؟

- نعم! يقول الرسول "أنا مِثْلُكُم"، لستُ فوق البشر، يجيئني الوحي من الله لا ليكشف لي أنني خارق، بل ليقول لكم إن الله واحد، فخذوا الطريق إلى الله، الله قريب، لا شيء بينكم وبين الله، لا ضوضاء، لا تشويش يحجب عنكم نور الله، أقف

معكم صفًّا واحدًا عبيدًا كُلُّنا للّه، واللّه وحده المِلك على عرش الألوهيّة. أنا مثلكم.

اِنتَظِرونا مع (منتفع)!

- (منتفع) يُكلِّم مُساعِديه: هذه الحلقات ستكون فعلًا مكسبًا كبيرًا للقناة! مجموعة من ألمع وأكبر النجوم سيكونون معي في الحلقات! لكن يجب أن تكون الدعاية بحجم الضيوف، وإلّا سيضيع مجهودنا الذي بذلناه كي يوافقوا على الظهور في برنامجنا.

يا شباب، نريد لافتة إعلانات كبيرة في وسط العاصمة، عليها صور (النجوم)، تمامًا مثلما كان تمثال (الرجل الصالح نَجم)..

- الشباب: مَن الرجُل الصالح نَجم؟

- ليس مهمًا، اِنْسَوا هذا الآن.. المهم، نريد أيضًا إعلانات قبل كل حلقة، إعلانات كثيرة كثيرة، انتظرونا انتظرونا، بمعدل كل عشر دقائق، نريد المشاهدين أن يشعروا أن فقدان الحلقة خسارة كبيرة، وكأنهم خسروا أموالهم وأولادهم، طبعا سنجتزئ جُمَلًا من الحوار لتظهر في الإعلان تشويقًا.. هل تتذكَّرون في التصوير لما قالت (النجمة): "سأقول لكم أخطر سِرّ في حياتي، أنني أخاف من الصراصير"، خُذوا الجزء الأول:"سأقول لكم أخطر سِرّ في حياتي"، ضَعوه في الترويج الذي يسبق الحلقة، واقطعوا الجزء عن الصراصير. وهل تتذكّرون لمّا سألتُ (النجم) عن دهشة الناس بأن الفيلم قد انتهى بأنه قتل زوجته، فردَّ عليَّ: "قتلتُها لأنّها تستحقّ القتل"، ضعوا إجابة (النجم) في الترويج أيضًا، لكن طبعًا بدون سؤالي، .. عمومًا نريد أن تنتشر الإعلانات عن الحلقات في كل مكان وكل وقت وبكل طريقة ...

هكذا دعاية (منتفع) لنجومه، لكنَّ نجومه لا يلتفّون حول الطائفين بالكعبة هذه المرّة، لكنّهم يلتفون حول العابدين في رمضان!

عرفنا النجم من دون النور

اقترح مُعِدّ البرنامج على (منتفع) أن يُخصِّصوا فقرة من برنامجهم للمُداخلات الهاتفية، كي تزيد أرباح البرنامج بمكالمات الجمهور، وأن تكون الفقرة أسئلة عن معلومات عامة.

وهكذا كانت التجربة...

– منتفع: آلو، معنا الاتصال الأول، أهلا بك.

–المُتسابق: أهلا بحضرتك أستاذ (منتفع)، أستاذنا الإعلامي الكبير .

– .. سنُلقي عليك مجموعتين من الأسئلة، الأولى بعنوان "أسماء"، والأخرى بعنوان "أفكار"، جاهز؟

- إن شاء اللّه.

- منتفع: السؤال الأول: من صاحب نظرية النسبية؟

- ألبرت أينشتين.

- جيِّد! من رسول الديانة اليهودية؟

- موسى، عليه السلام.

- جميل! من مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الإرهابية؟

- حسن البنّا.

- تمام! ما اسم السورة التي يقرأها المسلم كل جمعة؟

- سورة الكهف.

- ما شاء اللّٰه! السؤال الأخير.. مَن زعيم ثورة ٢٥ من يناير ٢٠١١ م؟

- زعيم ثورة ٢٥ يناير.. لا يوجد .. كانت بدون زعيم.. الناس خرجوا إلى الشارع فقط..

- طيب، سنرى النتيجة بعد الجزء الآخر ، انتهى جزء (الأسماء) والآن مع جزء (الأفكار)، السؤال الأول: عن أي شيء تتحدث نظرية (النسبية) التي وضعها أينشتين؟

- أن كل شيء نسبي.. ممممم.. ممكن.. أنا لست متأكِّدًا بصراحة..

- طيِّب، النبي (موسى) معروف بأنه استقبل من الله- سبحانه وتعالى- الوصايا العشر، ما أهم الوصايا العشر؟

- الوصايا العشر؟! طاعة ربنا وبر الوالدين..واااا .. مم .. ممكن، لست متأكدًا بصراحة.

- طيب، السؤال التالي، ما أهم المبادئ التي أسس عليها (حسن البنا) جماعته؟

- أنا لا أعرف المبادئ يعني كواحد اثنان ثلاثة.. لكن مبادئ متشددة طبعا.. يعني أفكار إرهابية.

- طيب، ما الحكمة المبني عليها سورة الكهف؟

- سورة الكهف فيها قصة أصحاب الكهف، وفيها قصة موسى والخضر، وقصة ذو القرنين في الآخر.

- جيِّد، لكن أسألك عن الحكمة.. عن التوجيهات التي في السورة من فضلك؟

- لا، بصراحة لا أعرف، لا ينفع أن أتكلم في القرآن بغير علم.

- طيب، السؤال الأخير: ما أهم المبادئ التي دعت إليها ثورة ٢٥ من يناير؟

- ثورة ٢٥ يناير كانت تقول عيش، حرية، عدالة اجتماعية، كرامة إنسانية، في البداية الشباب خرجوا في عيد الشرطة ليتظاهروا ضد التعذيب في أقسام الشرطة، ثم لمّا الأمن واجههم بعنف تصاعدت الاحتجاجات، وارتفع سقف المطالب من مجرد إصلاح وزارة الداخلية إلى عزل الرئيس مبارك، ثمَّ هتفوا ضد الحُكم العسكري كله.

وأيضًا نسيت أن أقول إن المتظاهرين صاحوا ضد فساد رجال الأعمال واستيلائهم على ثروات البلد، وتصدير الغاز لإسرائيل، وضد توريث الرئاسة لجمال ابن الرئيس مبارك، و....

- منتفع: خلاص، شكرا يا حبيبي، هذا يكفي...

استقبل (منتفع) اتصالات أخرى.. ثم في الفاصل الإعلاني صاح في وجه فريق عمله: ما هذا يا جماعة! لا يمكن أبدًا! مَن منكم كتب هذه الأسئلة؟!.. تتوقعون أن الجمهور يعرف النسبية والوصايا العشر ومبادئ الإخوان.. وكل هذه الأسئلة المُعقّدة!! ألغوا لي فقرة الأفكار فورًا، اجعلوها أسماء فقط، وإلّا سيكون البرنامج مملًّا

جدًّا ولن يتصل أحد! وغيِّروا لي اسم الفقرة أيضًا، سمّوها فقرة (نجوم وأضواء)، ونسأل عن مشاهير الفن والرياضة والسياسة، وبالتالي سنستقبل اتصالات أكثر.

وفي الحلقة التالية..

- منتفع: آلو، معنا اتصال من الأستاذ (سَطحي) ، أهلا وسهلًا حبيبي.. السؤال الأول: مَن الفنان المُلقَّب بكازانوفا العرب؟

دقيقة استراحة

العُملات، اختراع اخترعه الإنسان لتيسير البيع والشراء، مثل الجنيه المصري والدولار الأمريكي واليورو الأوربي وغيرها.. والبيع والشراء نشاطان يوميّان، لهما علاقة بأمرين، بأمر ماليّ: بالاقتصاد والأسعار والتجارة.. والأمر الآخر أخلاقي: بالأمانة والصدق والثقة ... فمن المنطقي أن تحمل العملات إلى الناس عبارات إمّا مكتوب فيها معلومات عن الاقتصاد والسوق والمعاملات الماليّة، أو أن تحمل إليهم عبارات مكتوب فيها إرشادات أخلاقية عن الثقة والأمانة وما يُحسِّن معاملاتهم، خصوصًا وأنَّ العُملات في أيدينا طول الوقت، لماذا لا يستفيد

أطفالنا من "المصروف" في شراء ما يحبون، وفي الوقت ذاته يتعلمون شيئًا مكتوبًا على العُملة عن الادخار أو الاقتصاد أو الأمانة.

لكنّ الواقع أنَّ العُملات تحوَّلت إلى معرض للصور! بدون فائدة! صور لشخصيات إمّا لا نعرف أسماءها، أو نعرف أسماءها ولا نعرف إنجازاتها، أو نعرف إنجازاتها ولا تخطر ببالنا لمّا تقع العُملة في أيدينا، فما فائدة أن توضع صورهم على العملة؟!



انظروا إلى الصورة السابقة والتي تجمع بعضًا من العملات العالمية، تبدو وكأنها معرض للصور! أليس كذلك؟!

وهذه الصورة أيضًا لبعض العملات في أنحاء العالَم، صور دون فائدة..



وهذه صورة لبعض العملات العربية، عليها صور لحُكّام، لا علاقة لهم لا بالبيع ولا بالشراء! ولو كانت الصور لها أي أثر إيجابي على الناس، فلماذا لم يصف لنا القرآن صورة النبي محمد!



إعلانـــــات (منتفـــــــع)

صار (منتفع) الإعلامي الأول بلا منافس، فطريقته ميزة حتّى وإن كان كثير من الإعلاميين يقلدونه، ما زال النجوم يحبون الظهور في برنامجه لأنه يُشعر كل واحد منهم أنه فتح القسطنطينية!

أرادت إحدى شبكات الهاتف المحمول أن تستفيد من خبرات (منتفع) في الدعاية، ليُشير عليها في الإعلان عن أنظمة خطوطها، فكان اللقاء بين مُمثِّل الشركة وبين (منتفع) ليعرض عليه التعاون..

وبعد أن أثنى ممثل الشركة على الأستاذ (منتفع) ومدح خبراته ونجاحاته وحب الجمهور له، أخذ

يعرض للأستاذ (منتفع) المستوى الذي وصلت إليه الشبكة، وأنظمتها وتطورها الذي يفوق الشبكات الأخرى، وخاصيّة الـ...

لكن (منتفع) قاطعه بسؤال: هل الميزانية محدودة لنستعين بفنان واحد في الإعلان؟ أم يمكن أن يظهر ممثل وممثلة ولاعب كرة مثلًا؟

- ردّ ممثل الشركة: هذا مُكلِّف، نحن فقط نحتاج أن نعرض ميزات النظام الجديد، لا مانع من أغنية لطيفة في حدود دقيقتين، لكن المهم أن تساعدنا حضرتك كي تصل فكرة النظام الجديد إلى العُملاء.

- منتفع: يا أخي الناس يستطيعون أن يتصلوا بخدمة العملاء ليفهموا النظام، ليست هذه

مهمة الإعلانات، مهمة الإعلانات هي جذب الناس والتأثير عليهم، واستغلال نقاط ضعفهم، حتى ولو لم يفهموا الخدمة، المهم أن يوحي إليهم الإعلان أن هذه الخدمة غير عادية وأن المشترك فيها سُلطان زمانه.

- مسؤول الشركة: ههههه، وكيف؟

- منتفع: يعني نستعين بنجم أو نجمة، وينزل من سيارة فخمة، وتصوره الكاميرا كأنه مخلوق من كوكب آخر، فوق البشر، ويقول الإعلان إنّ هذا النجم يستعمل هذه الشبكة، ثم يقول عبارات مثل "المستقبل بين يديك"، "أنت صاحب القرار"، "من حقك أن تعيش الرفاهية"، "أنت مميز عن الآخرين"، .. عبارات تُرضي غرور العميل، الإنسان بطبعه يُحبّ مَن يُفخِّمه.

- ممثل الشركة: جميل، لكن الهدف أصلًا التسويق لأحدث أنظمة الشركة.

- منتفع: بخبرتي في مجال الإعلام أؤكد لك أن الأحسن ألّا يفهم الناس، لأنهم إنْ فهموا سيسألون كثيرًا، ويفكّرون كثيرًا، ويترددون كثيرًا، الصحيح أن تبهرهم من البداية وبعد ذلك قد لا يسألون، أو يسألون عن الضروريات فقط، وخذها مني نصيحة، أهم شيء في التسويق أن تُرضي غرور الناس، الإنسان يكره السارق الذي يستغفله، ولا يحب الشحّاذ الذي يتوسَّل إليه، إنّما يعشق الذي يُشعِره بأهميته ويُعيِّشه الفخامة والعظمة والسيادة، حينها يُخرِج كل ما في جيبه برضا واقتناع، حتّى وإن قضى بقيّة الشهر مُفلِسًا.

الإقناع:

دخل رجل إلى المسجد، يريد النبي (محمدًا)، فوجد الرجال هناك كثيرين! فنظر فيهم فلم يجد واحدًا مُمَيَّزًا! فلم يعرف مَن النبي، فاضطر أن يسأل: أَيُّكم محمد؟!

فأشار الحاضرون باتجاه رسول اللّه- صلى اللّه عليه وسلم- وقالوا: هو هذا الرجل الأبيض المتَّكِئ.

في تلك الأيام، كان رسول اللّه يدعو إلى فكرة جديدة، هي التوحيد، دين الإسلام، في مجتمعات غارقة في تعدُّد الآلهة، كانت المهمة صعبة، واختار لها رسول اللّه الطريق الأصعب: طريق الإقناع!

لم يكن صعبًا على رسول اللهّ أن يلبس أغلى ملابس، ويأمر أصحابه أن يتزينوا ويركبوا أغلى الدوابّ، ويتعلّموا لغات لا يفهمها الناس، أو يركز رسول اللهّ على دعوة أشهر وأجمل الرجال والنساء ليدخلوا في الإسلام، وساعتها سينجذب عدد كبير من الجمهور إلى هذا الدين الجديد الذي يبدو أتباعه كالنجوم!

لكن من كانوا سينجذبون؟ ما نوعية الشخصيات الذين ينجذبون بالمظاهر؟ إنهم نوعية خاصّة لا يستهدفها رسول اللهّ لتكون أساسًا لأمة الإسلام، نوعية ترى الشكل لا المضمون، تسأل عن السطح ولا تُبحِر في القاع، وهؤلاء من السهل أن ينقادوا، لكنَّ رسول اللهّ لا يريد أن يكون قائدًا على هؤلاء.

إنّما يبحث رسول اللهّ عن أصحاب العقول والقلوب، الذين يفكرون ويسألون، والذين إذا سألوه أجابهم، وإذا أجابهم بالحقّ صدَّقوه.

((اللهّ أكبر! رقم قياسي! في هذا الشهر أسلمَ مئة شخص، المعدل السابق كان بين خمسين وستين مسلمًا في الشهر، هيّا يا رجال هدفنا أن يدخل في الإسلام الشهر القادم مئة وخمسون..))

هل كان يقول رسول اللهّ ذلك؟

لا طبعًا! لم يقُلها! العبرة ليست في العدد، العبرة في صِدق الإيمان.

طلب (صفوان بن أميّة) من رسول اللّه شهرَينِ ليُفكِّر ثم يقرر إن كان يريد أن يدخل الإسلام أم لا، فأجابه رسول اللّه: بل لك أربعة أشهر يا صفوان.

(هيّا يا صفوان، سارع قبل أن تموت، ادخل في الإسلام اليوم ولك الجنة...) ما قال رسول اللّه شيئًا من هذا! بل ترك (صفوانًا) يُفكِّر، فمَن مات وهو يفكِّر ما مات على الكُفر.

ليس الضغط أو الاستعجال أو الإبهار وسائل محترمة، في كل الأمور، سواء كانت أمور حياتية عاديّة مثل إعلانات الشركات عن الملابس والمساكن والهواتف وغيرها.. أو كانت أمور دينية مصيرية مثل الدعوة إلى الإسلام. لا شيء يُقاتَلُ في عصرنا هذا كما تُقاتَل العقول لتموت.

دقيقة استراحة

(الحاج إدريس).. هل تعلم مَن الحاج إدريس؟

أظن أن معظم المصريين- للأسف- لا يعرفونه، ولا يعرفون إنجازاته، وأنا أيضًا لا أعرفه!

لكنني وجدت صورته لما كنت أبحث في صور الشخصيات التاريخية المطبوعة على العملات، وجدت صورته على (الجنيه المصري القديم)، بل ووجدت (الجنيه المصري الرسمي) كان يُسمَّى (جنيه الحاج إدريس)! فعزمتُ أن أعرف مَن هذا الرجل الذي احتلت صورته عملة بلادي الرسمية؟!

ذكرتْ كتب التاريخ أن (إدريس) كان فلاحًا مصريًّا بسيطًا، ربما لا يُجيد القراءة والكتابة، لكنّه كان خادمًا لـ(الأمير فؤاد الأول) ، وذكرت بعض المصادر أنَّ الأمير (فؤاد) كان يستدعيه في حَفَلات السمَر ليُسلِّي الحاضرين من الأغنياء وأبناء الذوات، ليحكي لهم النوادر ويقرأ لهم الكفّ.

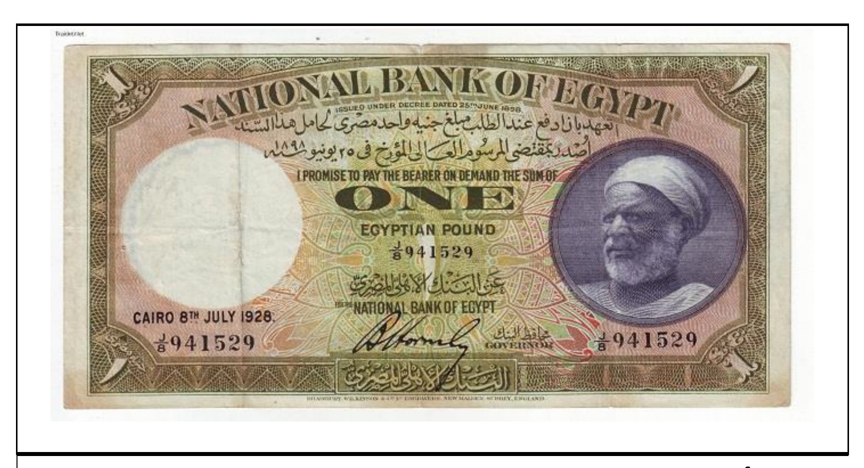
وذات يوم نام (إدريس) ثم استيقظ فذهب إلى (الأمير فؤاد) وقال: لقد رأيت في المنام أنَّك ستكون مِلك مصر يا سيّدي.

فاستبشر (الأمير فؤاد) بالرؤيا وقال لخادمه المخلص: إنْ تحققت هذه الرؤيا سأكافئك وأضع صورتك على الجنيه المصري.

فتحققت الرؤيا، وصار (فؤاد) ملكًا لمصر، ووضع صورة (الحاج إدريس) على العُملة الرسمية للبلاد.

فقط. انتهت إنجازات إدريس.

مهزلة طبعًا! واستخفاف بالدولة والشعب!



عُملة (المملكة المصرية) تحمل صورة (الحاج إدريس)

خادم (الأمير فؤاد)

نجم الفتوى

وجد (منتفع) أنّ الشيخ (مُغيث ممدوح) قد ذاعت شهرته، وصار محبوب المشاهدين والمشاهدات، فقال لمُساعديه: "لماذا لا نستغل.. أقصد لماذا لا نستعين بالشيخ (مُغيث) لجذب مشاهدين أكثر إلى برنامجنا! لقد صار نَجمًا! اتصلوا لي بالشيخ".

فاتفق (منتفع) و(مغيث) أن تكون الفقرة الدينية ساعة كل ثلاثاء، يستقبل فيها الشيخ أسئلة المتصلين، وأن يكون اسم الفقرة: (مع اللهّ).

وكانت الفقرة على الهواء كالتالي..

متصلة ١: آلو، السلام عليكم يا شيخ، من فضلك يا شيخ سؤال مهم، هل هو حرامٌ عليَّ أن أحدد حاجِبَيَّ؟

....

متصل ٢: آلو، السلام عليكم يا شيخ، إخواني يا شيخ لم يُعطوني نصيبي في الإرث كاملًا، وجِّهْ إليهم كلمة يا شيخ؟

....

متصل ٣: السلام عليكم يا شيخ، لو سمحت يا شيخ، زوجتي لا تعطيني حقوقي الشرعية، هل يجوز لي أن أتزوج عليها بدون علمها؟

....

متصلة ٤: السلام عليكم يا شيخ، عندي سؤال مهم بعد إذنك، أنا عروس وسأكوي شعري قبل الدُّخلة، ولا أريد أن أغسل شعري بعدها، ماذا أفعل؟

....

متصل ٥: آلو، السلام عليكم يا شيخ، زملائي في العمل يسيئون إليَّ يا شيخ ويسخرون منّي، ما الحلّ يا شيخ؟ هل أتجاهلهم أم أردّ عليهم أم ماذا يا شيخ؟

....

متصلة ٦: آلو، السلام عليكم يا شيخ، كيف حال حضرتك؟ ربنا يبارك لنا في علمك ويجازيك كل خير، وينفع بك الناس، ويرزقك العمرة والحج و..

- منتفع: ما سؤال حضرتك؟

- لا، ليس عندي سؤال، أنا اتصلت أسلِّم على الشيخ وأشكره.

وبعد أن أجاب الشيخ أسئلة المشاهدين...

- منتفع: في نهاية الحلقة نتقدَّم بالشكر إلى فضيلة الشيخ (مُغيث)، ضيفنا الذي شرفنا ونجم الحلقة كل ثلاثاء...

- الشيخ مغيث: هههه لست نجمًا ولا شيء، أنا عبد فقير إلى اللّه.

- منتفع: حضرتك نجم تهدي الناس بعلمك، والعلم نور.

- الشيخ مغيث: العفو يا أخي!

- منتفع: نشكر النجم الجليل، ونلتقي الأسبوع القادم مع فقرة (مع اللهّ).

مع اللهّ:

اسم الفقرة ((مع اللهّ)).

لكن الفقرة في حقيقتها مع الناس، وبين الناس، ومن الناس، وإلى الناس..

الأسئلة دينية نعم، ولكن لا سؤال منها عن علاقة مباشرة بين العبد وربه! بل السؤال دائمًا: ماذا نفعل مع الناس؟

الإخوة- الزوجة- الزوج- الزملاء... هناك نجوم كثيرون في حياتنا! نحن مشغولون بالناس، إما

نريد أن نظهر أمامهم بمظهر حسن، أو أن نأخذ حقنا منهم، أو أن نرد على أذاهم، ... كل ما نريد هو بيننا وبين الناس!

حتى اتصالنا بالشيخ! فلأننا نشعر بالأمان أن نكون مع الناس! ونشاركهم مشكلاتنا، ففتاوى الإخوة السائلين موجودة إجاباتها في القرآن الكريم، وفي كتب السُّنّة النبوية، يستطيع أي أحد أن يجدها إذا فتح المصحف، أو بحث في شروح الأحاديث، أو في كتب الفقه المُبسَّطة، أو حتى في "فيديو" على موقع "يوتيوب"، لكننا نحب أن نشكو الناس إلى الناس، ونجده أمتع من توجُّهنا إلى اللهّ بالدعاء!

الأخ الذي إخوته غشّوه في الميراث، ماذا سيفعل الشيخ في هذا الأمر؟! ليس مُحاميًا ليدافع عنك،

أقصى ما في وسع الشيخ هو أن يقرأ لك الآية:

﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٨٨

والآية موجودة في المصحف، تستطيع أن تقرأها لإخوتك!

في الحقيقة، الأخ المتصل يعرف أنَّ الحلّ الحقيقي هو أن يلجأ إلى اللّه ليُعينه، وأن يبذل أقصى ما في وسعه ليجد حلًّا، أو وسيطًا يتوسّط بينه وبين إخوته..

لكن من كثرة "النجوم" في حياتنا صار من الصعب على المؤمن أن يلجأ إلى اللّه مباشرةً!

كما أن اللجوء إلى "النجم" يُخدِّر الضمير..

إذا لجأ السائل إلى الشيخ فيتوقع أن تكون الإجابة: حرام عليهم إخوتك ظالمون، ولكن لو لجأ إلى اللّه سيكون عليه أن يسعى لاسترداد حقه: إنَّ اللّه لا يُغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم!

اسم الفقرة (مع اللّه) لكن لماذا ما كان هناك سؤال عن اللّه؟ عن أسمائه، عن صفاته، عن حكمته، عن أفعاله، عن أقداره، عن قرآنه...

أصلًا لماذا العلاقة بين الناس والشيخ أسئلة؟ لماذا ليست مناقشة أو اقتراح؟!

هل لأن الشيخ شيخ فلا أحد يُفكِّر ويتكلَّم إلا هو.

هذه رؤية (منتفع)، من مصلحة البرنامج أن يظهر الشيخ (مُغيث) في صورة "مُغيث" يلجأ إليه الحيارى والمهمومون والتائهون.. وما أكثرهم!

يجب أن يظهر (مغيث) في صورة عالِم كبير، والعالِم الكبير يأمر ولا يسمع!

اللّه يسمع ويرى!

يقول اللّه- تبارك وتعالى- في سورة البقرة: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ، فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } البقرة ١٤٤

ما القصة؟

القصة أنَّ اللّه- مالِك المُلك- أحكم الحاكمين- بشَّر رسوله (محمدًا) بتغيير قِبلة الصلاة، من اتجاه المسجد الأقصى إلى اتجاه المسجد الحرام، وهذا ما كان يتطلَّع إليه رسول اللّه!

ما قال (محمد): ما لي وما لمسألة القِبلة، هذا ليس من شأني، اللّه رب العباد وهو يوجِّه عباده حيث شاء!

لا، بل فكَّر وتأمَّل، وتمنَّى أن تكون الكعبة هي قبلة المسلمين، فلمّا رأى اللّه تطلُّع (محمد) إلى الكعبة، استجاب لأمنيته، وجعل القِبلة إليها، ولا شكّ أنّ اللّه كان يريد الكعبة أن تكون قبلة للمسلمين على كل حال، لكنّ اللّه أراد أن يقول لمحمد: لا تظُنّ أن التفكير حرام، الحرام هو سوء الأدب مع اللّه.

لكن مَن لم يُسِئ الأدب مع اللّه فمن حقه أن يفكر ويقترح.

الحمد للّه!

ليس الإسلام دين خمول، ليس الإسلام دين: ما رأيك يا شيخ، قُل لي يا شيخ، ماذا أفعل يا شيخ...

ليس القصد هنا الانتقاص من قَدر الشيوخ ومن عِلمهم، ولكنّ القصد أنَّ العُلماء والمُتعلِّمين يجب أن يكون هدفهم واحدًا، وهو الوصول إلى اللّه، يسيرون معًا جنبًا إلى جنب ووجوههم قاصدة ربها، يتحاورون ويتناقشون باحترام، يُعلِّم العُلماءُ المُتعلِّمين إنْ جهلوا، ويُجادل المُتعلِّمين العلماءَ إنْ خالفوا العقل أو الواقع.. أو خالفوا الدين رُبَّما!

الذي يحدث الآن أننا لا نسير معًا نحو اللهّ، بل نقف مُتقابلين، وجوهنا إلى العُلماء لنسألهم، ووجوههم إلينا ليُجيبونا، ولا أحد يُبصِر الطريق إلى اللهّ، ولا أحد يستطيع أن يُواصل السير إليه!

الاتصال الأخير

المتصلة التي شكرت الشيخ ودعت له، ثم ذهبت دون أن تسأل، قد يكون اتصالها هو الاتصال الأقوى في الحلقة، أو قد يكون هو الأضعف!

لا شكَّ أنها تستشعر ذلك الفضل الكبير الذي يُقدِّمه الشيخ للمشاهدين، أنه يُعلِّمهم ويُفهِّمهم ويأخذ بأيديهم إلى اللهّ، لكن.. أليس الفضل للهّ أصلًا في أنه وفَّق هذا الشيخ ليتعلم،

وفتح له بابًا ليُعلِّم الناس، ثمَّ وفَّقنا لنتلقَّى من الشيخ رسالته.. أليس الأمر كله راجع لإرادة الله ورحمته!

فإن كانت صاحبة ذلك الاتصال قد شكرت الله قبل أن تشكر الشيخ، فقد أصابت.

أما إن كانت قد شكرت الشيخ دون أن تتذكَّر أن تشكر الله، فقد جعلت الشيخ هو صاحب الفضل، جعلته (النجم) الذي لولاه ضِعنا!

دقيقة استراحة

من الخداع باللغة أن يستعمل (النجم) حُبّ الناس لربهم، ليُمرر قراراته ويوهمهم أنها أوامر من اللهّ.

الخليفة العُبَيدي (المنصور بن نزار) سمَّى نفسه (الحاكم بأمر اللهّ)، لتظهر قراراته في صورة مُقدَّسة، وأنَّها ليست إلا تطبيق لحُكم اللهّ، ثم أدهش الناس بغرابة وشناعة قرارته!

تذكر كتب التاريخ أنه اضطهد اليهود والنصارى، وقتل مشايخ المسلمين، وأجبر الشعب على النوم نهارًا والاستيقاظ ليلًا! وأصدر قرارًا رسميًّا بتحريم تناوُل الملوخية!

ولمّا وجد انقياد الشعب لقراراته تمادى فادَّعى الألوهية! وتولَّى أتباعه نشر فكرة ألوهيته، وفي هذا نحن لا نتكلم عن عصور ظلام وانتهت، بل ما زال يؤمن بـ(الحاكم بأمر الله) طوائف شيعية موجودة في عصرنا هذا.

تكبير/ تصغير

في إحدى حلقات برنامج (مع منتفع)، وجدناه يُناقش قضية حسّاسة للغاية، شديدة الخطورة والأهمية، قضية (الانتماء للوطن عند الشباب).

وهكذا بدأ (منتفع) الحلقة: ضيف الحلقة اليوم (نجم) من نجوم الطب النفسي، نريد أن نسمع معه الشباب، وننتظر أن يحلل لنا أفكارهم، سؤال الحلقة: "هل أدت الظروف المعيشية الصعبة إلى فقدان الشباب إحساسه بالانتماء إلى الوطن؟"

هيّا صوِّتوا معنا بنعم أو لا، وفي انتظار اتصالات الشباب لنعرف رأيهم في الموضوع.

اتصال ١:

- منتفع: معنا اتصال من حُسام، حُسام ماذا تعمل؟

- طالب في الجامعة.

- طيب، هل عندك أمل أن تبني المستقبل الذي تحلم به؟

- في الحقيقة الظروف لا تبشر بخير، ربنا يستر.

- منتفع: هل فقدت انتماءك للوطن في يوم؟

- لا طبعا، مصر بلدي، لكن هذا لا يمنع أن حلمي هو السفر إلى الخارج.

اتصال ٢:

- منتفع: معنا اتصال من شيماء، شيماء طالبة أم موظفة؟

- أنا مهندسة في شركة خاصة.

- ههه طبعا عندك انتماء لأنك وجدت عملًا مناسبًا.

- ههه الحمد لله ظروفي ليست صعبة كشباب آخرين، عمومًا بلدنا جميلة وفيها فرص كثيرة ...

- رائع رائع، واضح أنّ شيماء وطنية وتحب مصر..

اتصال ٣:

- منتفع: معنا اتصال من وائل، تفضّل يا وائل..

- أنا متخرج منذ خمس سنوات لكن لا أجد عملًا، أرى عمري يضيع ولم أدَّخر شيئًا حتى الآن..

- منتفع: هل شعرت قبل ذلك أنك فقدت الانتماء بسبب الظروف؟

- طبعا كلنا نحب مصر، لكن في الحقيقة أحيانًا يصيبني هذا الشعور.

- تشعر أنه لا أمل في الحياة هنا.

- أحيانًا.

- هل فكرت- لا قدر الله- في الانتحار مثلًا؟

- انتحار! لا! أنا مؤمن بالله الحمد لله.

- تمام، إذن فقدانك للانتماء لبلدك لم يجعلك تتطرف، أو تفكر في الانضمام إلى داعِش مثلًا؟

- وائل: داعِش! حضرتك ذهبت بعيدًا جدًّا! وأنا أصلًا ما قلت أنني فقدت الانتماء لوطني، قلتُ فقط يأتيني هذا الشعور في أوقات اليأس، لكن ما زال عندي أمل وأحلم ببيت وأسرة إن شاء الله.

لغة منتفع:

كما تُكبِّر لغة (منتفع) صورة نجومه، فتجعلهم فوق البشر، فإن لغته أيضًا تُصغِّر أفكارًا وقيمًا مهمة، حتى تجعل الشاذ عاديًّا متوقَّعًا! وحين لا تأخذ المشكلة حجمها من الخطورة تكون مناقشتها أخطر من وجودها أصلًا!

عندما يُجري (منتفع) تصويتات، مرّة عن "فقدان الانتماء"، ومرة عن "الإلحاد"، ومرة عن "الفتنة الطائفية"،... يجب أن تأخذ القضية حقها، يجب أن يكون شكل التصويت مؤشِّرًا هل يوجد كارثة أم لا؟! ولا يكون كل ما في التصويت هو "ما رأيك"!

تصغيـــر:

من المعتاد للمسلمين الذين يناقشون غير المسلمين أن يسمعوا منهم هذا الكلام: أنا مهتمّ بالإسلام وقرأت عنه، لكن أريد أن أتأكَّد، لماذا لحم الخنزير حرام على المسلمين؟

ولماذا لا يشرب المسلمون الخمر؟ طيب لو دخلتُ في الإسلام وشربت الخمر، ألا أكون مسلمًا ؟!

.. هكذا اعتادت المجتمعات التصغير، تأثُّرًا بما يعرضه الإعلام، لأنّه عندما يتعلَّق الأمر بدين واعتقاد، بإله وعبيد، بجنة ونار، بحق وباطل، بنجاة أو هلاك، بعُمر واحد، فرصة لن تتكرر، تُستَغَلّ أو تضيع..

ثم يتوقَّف الحديث على لحم الخنزير والخمر، مسموح أم ممنوع، فهناك تصغير في الأمر!

الطبيعي أن الأمر إذا تعلّق بالدين فلو عاش الإنسان على الخُبز والماء فمرحبًا بالخُبز والماء.

لماذا لا نسمع أسئلة حقيقية، مثل : ما عقيدتكم عن الإله؟ ما صفاته؟ هل هو كامل كمال مُطلق؟

أو مثلًا: ما الفروق الجوهرية بين العقيدة الإسلامية والعقائد الأخرى؟ ما اعتقاد المسلمين في (المسيح)؟ ما اعتقاد المسلمين في الملائكة؟ في الرسُل والأنبياء؟ في الجنة وفي النار؟ في البعث والحِساب؟

أو مثلًا: ما اعتقاد المسلمين في الشرّ الذي في هذا العالَم؟ أين إلهكم عندما يغيب العدل؟ أو ينتصر الظّلم؟ أو يُقتَل الأطفال؟

أو مثلًا: تعتقدون أن دين الإسلام هو الوحيد الصحيح النقيّ في هذا العصر، فلماذا لا يسود العالم الآن؟ ولماذا تأخَّر المسلمون حضاريًّا ولم يعودوا يُسهموا في تقدُّم البشريّة؟ ألا يوجد حلّ في دينهم لمشاكلهم الحاليّة؟

كل هذه الأسئلة معقولة ومُحترمة، من حق غير المسلم أن يسألها، وأن يعرف إجاباتها، ومن حقه أن يقبلها أو يرفضها، ..

لكن أن تكون الأسئلة العالميّة المتكررة عن الإسلام هي: لحم الخنزير، الخمر، الحجاب، تعدد الزوجات،

علاقة بدون الزواج، المثليّة، ... كل ما في الأمر:

طعام وشراب وذكر وأنثى!!

يبدو أن لغة (منتفع) كبَّرت أمورًا صغيرة، وصغَّرت

أمورًا كبيرة!

دقيقة استراحة

تستعمل اللغة في تسمية (النجوم) تسميات تُكبِّرهم في عيون الناس، وكثيرًا ما يحدث أن يُسمِّي (النجم) نفسه اسمًا بالضبط عكس حقيقته، كوسيلة دفاعية يستعملها ضد انتقاده.

الخليفة العباسيّ (جعفر بن أحمد بن طلحة) سمَّى نفسه (المُقتدِر بالله)، ليظهر في صورة الخليفة العظيم القدير، لأنَّ الواقع أنّ حُكمَه كان في غاية الضعف، لدرجة أن حكومته كانت تُسمَّى (حكومة النساء)، لأنَّ النساء كُنَّ يُقَرِّرن لهُ وهو لا يستطيع القرار.

والأعجب أنّ (المُقتدِر باللّه) كانت نهايته بلا أي قدرة، فقد ذبَحَهُ بعض جنوده ورفعوا رأسه على خشبه وهم يلعنونه، وتركوا جسده مكشوفًا للعيان!

نائلة وإيساف: نجما بيت اللّه الحرام!

نائلة وإيساف ليسا نجمَين عاديين، بل هما وصلا إلى رُتبة إلهَين! عبدهما العرب إلى أن فتح الإسلام مكّة، وكانوا قبل ذلك يعتقدون فيهما ويتقرّبون إليهما بالذبائح!

لكن مَن (نائلة وإيساف) هذان؟

ذكر الإمام ابن كثير في كتابه (السيرة النبوية) أنَّ (نائلة وإيساف) كانا امرأة ورجلا حقيقيين، يمشيان على الأرض، ينتميان إلى قبيلة (جُرهم)، وكانا يسكنان في مكّة، وكانت قبيلتهما فاسدة، لا تحترم مكّة ولا البيت الحرام، حتى إن (نائلة وإيساف) دخلا إلى بيت اللّه الحرام، وفعلا فاحشة

الزنا في ساحة الكعبة!! واشتهر خبرهما بين الناس، وشاع أنّ اللّه غضب عليهما فمسخهما بعد موتهما في شكل حجَرَين (واللّه أعلم إن كان خبر المَسخ هذا حقيقيًّا أم لا)، فوضع الناس الحجرَين (نائلة وإيساف) عند الكعبة للاتعاظ بنهاية التعدِّي على بيت اللّه الحرام.

وبعد فترة من الزمن، صار (نائلة وإيساف) إلهَين معبودين! يدخل الناس إلى بيت اللّه الحرام فيُلقون على (نائلة وإيساف) السلام، ويذبحون لهما الذبائح، ويطمعون في رضاهما وبركاتهما!

ومع ذلك فإنّ الناس كانوا يعرفون القصة، يعرفون ما فعل (نائلة وإيساف) عند الكعبة!

وهذه الظاهرة ليست فريدة في التاريخ، أن يُقدَّس المُخطئون والمُجرمون، لكن لماذا؟!

يرجع سبب تعظيم الناس للمجرمين:

- إمّا إلى الجهل، بأن يكونوا قد وجدوا السابقين يقدِّسونهم فقدَّسوهم مثلهم.

- أو يرجع لتعاطف حقيقي مع المجرمين، حيث إن هناك فئة من الناس ترى المجرم إنسانًا منبوذًا مكروهًا من الناس، فتتعاطف معه ومع ضعفه أمام شهواته التي يلومه الناس لأنه عاجز عن السيطرة عليها.

- وأحيانًا أيضًا يتعاطف الناس مع المجرمين إعجابًا بهم لأنهم قالوا "لا" بجرأة وشجاعة، قالوا "لا" في وجه العُرف والقوانين، وفعلوا ما يريدون، مثل

(نائلة وإيساف) الَّذَين لم تقف العادات العربية ولا حُرمة الكعبة أمام ما يريدان، وفعلا الفاحشة بشجاعة في قلب البيت الحرام!

وهنا تلعب اللغة دورها أيضًا في تزييف الحقائق وإيهام بعض الناس، فالذين يتعاطفون مع المجرمين لأن المجتمع ينبذهم، في الحقيقة هذا لا يسمى "نبذًا"، بل يُسمَّى في اللغة "تضييقًا"، وهو تقليل فُرَص المُجرم حتّى ينتهي عن إيذاء نفسه وإيذاء الآخرين، وكذلك الذين يُعجَبون بالمجرمين لأنّ عندهم شجاعة لكسر القوانين، في الحقيقة هذا لا يُسمَّى "شجاعة" بل يُسمَّى في اللغة "حُمْقًا"، لمّا يجهل المُجرم قيمة الأعراف والقِيَم فيكسرها كما يكسر الطفل المُتهوِّر أثمن الأشياء غيرَ مُبالٍ.

وهذا اللبس -أو التلبيس- يحدث في (عبادة الشيطان)، فعَبَدة الشيطان يتخذونه رمزًا للـ"حرية"، لأنه تمرَّد على اللّه، وعلى قيود الدين، وقرر أن يحرر عقله، ويفكر بنفسه، ويقرر لذاته، فهو الذي يستحق العبادة.

وهذا خداع لُغوي أيضًا، لأنَّ التمرُّد على الإله العادل لا يُسمَّى في اللغة "حرية"، كما أنَّ تمرُّد الجُندي على القائد العادل في الجيش ليس حرية، بل يُسمَّى "عُدوانيّة"، عندما يتمرَّد بلا سبب فيجعل من الحبيب عدُوًّا!

والغريب أنَّ هؤلاء المُعجبين بتمرُّد الشيطان على عبادة اللّه، هم أنفسهم يعبدون الشيطان! فلَو كانوا مُعجبين بتحرر الشيطان من الخضوع لكل شيء، فلماذا لا يتحررون هم أيضًا من الخضوع

لكل شيء بما فيها الشيطان! لا شكَّ انهم وقعوا في تناقُض.

مُذَمَّم فجأةً!

هل تعرف اسم "مُذَمَّم"؟ هل تعلم على مَن أُطلِق؟

بدايةً معنى "مُذَمَّم" في اللغة هو شديد قُبح الأخلاق، يعيبه الناس لقُبح أقواله وأفعاله. ليس فقط يذمُّه الناس، من "الذمّ"، بل يُذمِّمونه، من "التذميم"! يعني لا يُطيقونه!

والعجيب أنّ هذا الاسم القبيح أطلقه "منتفعون" على أجمل إنسان في الوجود، وأطيب

رجل، وأكمل الناس أخلاقًا، أطلقوه على رسول الله: مُحمَّد.

صلى الله عليه وسلم.

غيَّر (منتفعون) في مكّة اسم "مُحمَّد" إلى العكس: "مُذمَّم"، لماذا؟ لأنه كان يدعو إلى "لا إله إلا الله"، وهم قد رصُّوا أصنامهم حول الكعبة ودعوا القبائل إلى عبادتها.

في ذلك الوقت، كانت بداية الإسلام، وما كان هناك شريعة بعدُ، ما كان (محمد) يقول: هذا حلال وهذا حرام، بل بدأ (محمد) بعنوان الإسلام: "لا إله إلا الله"، فكان فقط يمشي بين الناس يقول: قولوا "لا إله إلا الله"، فغضب (منتفعون)، كان لسان حالهم يقول: كيف لا يحترم (محمد) آلهتنا التي

عبدناها سنين، وعبدها آباؤنا وأجدادنا، إذن يطلب منا (محمد) أن نعترف "نحن سفهاء وكان آباؤنا وأجدادنا مُغفَّلون"، هذا مستحيل! لكننا لا نستطيع أن ندعو (محمدًا) للمُناظرة، إذا سألناه لماذا ترفض عبادة (نائلة وإيساف) فربما يردّ لأنهما زَنَيا في الكعبة! الحوار مع (محمد) مستحيل، الحرب الإعلامية هي السبيل الوحيد، مِن الآن هو ليس (محمدًّا)، بل هو (مُذَمَّم)، انشروا الاسم في كل مكان!

دقيقة استراحة

إنْ كان الإنسان صاحب موهبة أصلا، فما فائدة تنجيمه وتلميعه؟ ألا تكفي موهبته في التعبير عنه؟

فنان موهوب مثل أحمد زكي، لماذا تكون أسماء أفلامه: سعد اليتيم، وهو سعد، البيه البواب، وهو البواب، سواق الهانم، وهو السواق، زوجة رجل مهم، وهو الرجل المهم، الراعي والنساء، وهو الراعي، مستر كرتيه، وهو المستر، النمر الأسود، وهو النمر، أبو الدهب، وهو أبو الدهب، معالي الوزير، وهو الوزير، البرنس، وهو البرنس، الإمبراطور،

وهو الإمبراطور، الباشا، وهو الباشا، حسن اللول، وهو اللول، ...

أليس في الفيلم فكرة لها عنوان؟ رسالة تحتل أفيش الفيلم،؟

أمِن المعقول أن يكون أفيش الفيلم: صورة البطل، مع اسم البطل في الفيلم، مع اسم البطل في الحقيقة؟!

هذا كثير!

النجـــم الجديــــــد

من عادة أبناء الأديان عمومًا الاحتفاء والابتهاج بمن يدخل جديدًا في دينهم، بطريقة مبالغ فيها، يعاملونه كـ"نجم"، ويقيمون له حفل ترحيب في المسجد إن كان قد أسلم، أو في الكنيسة إن كان قد تنصَّر، أو في المعبد إن كان قد تهوَّد: هيَّا احكِ للناس قصتك، كيف اقتنعتَ بالدين، والمعجزات التي رأيتها، قل لنا عن الأيام السوداء التي عشتها قبل أن يهديك اللهّ إلى ديننا! ما شاء اللهّ! بارك اللهّ فيك! النور يملأ وجهك!

إضافة إلى ذلك يوفرون له المسكن والزوجة والعمل، وربما يجعلونه مقدم برامج في التليفزيون أو داعية في المؤتمرات والندوات...

وهنا أنا لا أنكر على أي دين أن يدعم المنضمين الجدد إليه، بل هذا واجب، لأن قرار الاعتقاد في دين جديد هو أهمّ قرار يتخذه إنسان في حياته، ويحتاج صاحب القرار إلى مساندة وتثبيت من أهل الإيمان الصادقين.

لكن المساندة والتثبيت تختلفان عن التنجيم والتلميع، المساندة التي يحتاج إليها المؤمن الجديد تكون بإجابة أسئلته وحمايته من أذي قد يلحق به بسبب اعتقاده الجديد، لكن ليست المساندة بأن يكون داعية مشهورًا وهو ما زال لا يعرف شيئا!

بل..

وقد يكون غير مؤمن أصلًا! وهذا شائع جدًّا!

فكثيرون ادَّعوا إيمانهم باليهودية ليحصلوا على هجرة إلى إسرائيل وظروف معيشية أحسن من التي في بلادهم،

وكثيرون ادّعوا دخولهم في المسيحية ليحصلوا على دعم مادي من الكنيسة أو لتحميهم الكنيسة من الملاحقة القضائية بعد جرائم ارتكبوها، وحصلوا على مراتب عالية في الكنيسة وهم ليسوا أهلها.

وكذلك الإسلام على مرّ تاريخه، هناك دائمًا من يدعي دخوله في الإسلام بغرض التزوج من امرأة مسلمة، أو بغرض التجسس على المسلمين، أو

بغرض دعم الجماعات الجاهلة ليعلو صوتها على صوت أهل العلم، أو للحصول على دعم مادي من المساجد والجمعيات الخيرية... و غير ذلك.

ليس معنى هذا أننا يجب أن ننظر إلى المؤمنين الجدد نظرة الريبة والاتهام، بالتأكيد لا! لأنه لا فرق بين مؤمن جديد ومؤمن قديم، في كل حال لا يعلم النوايا والضمائر إلا اللّه- سبحانه وتعالى،

فقط ليس صحيحًا التهليل والتنجيم لشخص قد يظهر نفاقه بعد عشر سنوات أو عشرين سنة أو أكثر!

تخيَّلوا لو كان رسول اللّه يحتفل بالمسلمين الجدد، ولو كان احتفل بإسلام (عبد اللّه بن أبي بن سلول) مثلًا، ثم بعد ذلك اكتشف أن (عبد اللّه بن أبي بن

سلول) الذي يصلي معنا في المسجد هو أنشط من يدبر المكائد للمسلمين ويدبر لقتل رسولهم!

ماذا يكون موقف رسول اللّه بعد الحفلة!

لذلك، لم يفعل رسول اللّه.

لا شكّ أن رسول اللّه كان يوفر الطعام والسكن المتاح للفقراء من المسلمين الجدد، وكان يحرص على إكرام واحترام أصحاب المناصب من المسلمين الجدد، لكن معاملة رسول اللّه تعني أنك مقبول غير مرفوض، أن تكون منا وأن نكون منك، ولا تعني أنك "نجم لامع" مشكور على إنجازك باعتناق ديننا !

منتفع ينشر نجومه في المساجد:

كان (منتفع) وما زال ينشر نجومه في الساحات الدينية، وبالأخصّ من المسلمين الجدد، الذين لا

دليل على صِدق إسلامهم، والتاريخ مليء بهذه الأمثلة، منهم الروسي (كينارد الغوركي)، الذي قال إنه قد أسلم حول منتصف القرن التاسع عشر، وسمَّى نفسه (عيسى النكراني) وأقام في بغداد، وجعلوه واحدًا من المُقرَّبين إلى الإمام (كاظم الرشتي)، و(كاظم الرشتي) هذا كان في ذلك الوقت إمام طائفة شيعية اسمها (الشيعية الشيخية)، فصار (كينارد) عضوًا بارزًا في مجلس (الرشتي) بدون أي إنجاز، فقط أنه مسلم جديد، وارتفعت مكانة (كينارد) في السماء حتّى صار يوجِّه أفراد الطائفة، ووقع اختياره على أحد أعضاء جماعتهم كان يُسمَّى (علي الشيرازي) وقال إنه هو المهدي المنتظر! وهو الباب الموصِّل إلى الحقيقة الإلهيّة، وسار (علي الشيرازي) في الطريق

الذي وضعه فيه (كينارد)، فقال إنه رسول، وإنه أعلى مرتبةً من الرُّسُل موسى وعيسى ومحمد! ثُمَّ بعد ذلك أراد أن يرتفع بنفسه أبعد وأبعد، فقال إنه اتحد مع اللّه في جسم واحد! فكان (علي الشيرازي) هذا مؤسسًا لمذهب (البهائيّة) الشيعي الموجود حتى الآن، ولا يجب أن ننسى مكتشف موهبته في الألوهية: الروسي (كينارد الغوركي) الذي احتفل المسلمون بإسلامه.

إضافة إلى (كينارد)، كان هناك في تركيا (يهود الدونمة) المجموعة اليهودية التي قالت إنها قد تخلَّت عن اليهودية واعتنقت الإسلام، ثم قال زعيمهم (ساباتاي زيفي) إنه هو (المسيح المنتظر)! وعملت هذه المجموعة على إسقاط الخلافة العثمانية، حتى سقطت بالفعل، واستمرّ (يهود

الدونمة) في نشاطهم، يدعون المسلمين إلى الاحتفاظ باسم (مسلم) لكن مع إلغاء جميع شعائر الإسلام وقوانينه!

يقول اللّه- تبارك وتعالى- :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ، وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾

البقرة ٨

الآية واضحة: هناك ناس يقولون "نحن مؤمنون"، وهم ليسوا مؤمنين.

ويقول اللّه- عز وجل- أيضًا:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ، وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾

البقرة ٢٠٤

يرشدنا ربنا: هناك بعض الناس، يتكلمون فتسمعهم، بل وتُعجَب بكلامهم وتستريح له. وهم يُشهِدون اللّه على صدقهم وأنهم يتكلَّمون بصدق من قلوبهم.. ولكن الحقيقة التي يعلمها اللّه:

هل هم أصدقـاؤك؟ لا.. أعـــــداؤك؟ لا.. أشـــدّ أعدائك؟ نعم.

ليس من العدل اتهام أحد بكذب الإيمان،

لكنه ليس من المعقول الاحتفال بإيمان إنسان!

دقيقة استراحة

أحيانًا لمّا أقرأ القُرآن الكريم، أتوقّف وأتأمَّل الآيات التي تتحدث عن حوارات الدُّعاة إلى اللّه مع المُلوك!

رسول اللّه إبراهيم- عليه السلام، وهو يتحدَّى الملك النمرود، أشدّ المُلوك تجبُّرًا: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ البقرة ٢٥٨

رسول اللّه موسى- عليه السلام، وهو يحاور فرعون الذي يدَّعي الألوهية فيقول بتكبُّر: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(٢٣)﴾

فيُرَدّ موسى بشجاعة: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ(٢٤)﴾ سورة الشعراء

بل الهدهد، الطائر الصغير الجميل، وهو يحاور الملك الصالح سُليمان- عليه السلام: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ سورة النمل٢٢

الهُدهُد يقول للملك الصالح سُليمان: أنا علمتُ أشياء أنتَ لا تعلمها.

أتوقَّف عند الآيات وأتساءل، كيف إذا قالها أحد من الشعب إلى الحاكم هذه الأيام، "أنا أعرف أشياء أنت لا تعرفها"، هل سيقبلها منه الحاكم.

أصلًا أتساءل، هل يسمح حاكم هذه الأيّام لداعية بنُصحه، أو حتى بمُقابلته؟!

هل تجاوزت "نُجومية" الحُكّام اليوم "نُجومية" النمرود وفرعون؟!

الخُلاصة: وحْدَهُ، وَلَّوا

صور، أغان، أفلام، مواقع، مقاطع ،أخبار، إعلانات، اتصالات،... ضوضاء تُلِحُّ على الإنسان، وكأنّ العالم بحاجة إلى دقيقة صمت!

إذا عددنا (نجوم) منتفع العمالقة الذين يُلمِّعهم ويُضخِّمهم.. نجد عددهم كبيرًا جدًّا في كل المجالات ... ويجب ألّا ننسى أن (منتفعًا) ليس الوحيد الذي يُجيد صناعة النجوم الخارقين، بل هناك (منتفعون) كثيرون في العالَم! كاد العالَم ينفجر نُجومًا! كما أن النجوم ليسوا آدميين فقط، بل هناك نظريّات وأنظمة وعادات وشعارات وأجهزة

صارت نجومًا أيضًا، يسوِّق لها (منتفعون) ليجعلوك تشعر أن حياتك مستحيلة من دونها!

أن تفتح التلفاز فترى نجومًا، وأن تمر بسيارتك في الشوارع فتطاردك صور نجوم، وأن تكون أغلفة المجلات صور نجوم، حتى كتب التاريخ مُبوَّبة تحت أسماء نجوم! فهذه ثورة باسم فلان، وهذه مملكة باسم فلان، وهذا انتصار باسم فلان، ...

هذا أمر حقًّا يدفعنا إلى التساؤل:

أين "هو" من الحياة؟!

- من هو؟

- ربّ الحياة .. اللّه! أين اللّه من كل هذه الضوضاء؟

- لكن مقام اللّه محفوظ، كم مِن قناة فضائية دينية موجودة، كلها تذكر اسم اللّه صباح مساء.

- مَن يُتابِع القنوات الفضائية الدينية يجد في الصباح يا يَسوع، أو يا حُسَين، وفي المساء يا يَسوع أو يا حُسَين! لذلك ما زلنا نسأل:

أين رب الحياة من حياتنا؟!

لم أجد إجابة مقنعة، إلا في القرآن..

يقول اللّه- تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً ﴾ سورة الإسراء ٤٦

إذا ذكرتَ ربك في القرآن، ووحَّدتَهُ، تضايقوا من قولك، ونفروا وابتعدوا!

إذا ذكرتَ ربك! فقط ذكرتَ، لا دعوتَهم ولا وجَّهتَ إليهم كلامًا!

- لماذا؟

- مفتاح الآية هي الكلمة "وَحْـــــدَهُ"

ونتيجتها هي الكلمة: "ولَّـــــوْا".

تقول الآية الكريمة، كما يُثبِت الواقع، أن هناك من البَشَر مَن لا يُطيقون أن يكون اللهّ "وحده".

وحدانيته صعبة، بغيضة، يستثقلون توحيده، وتفرُّده بالعظمة، بل ولا يُجيدون التكيُّف مع مَن يُوحِّده: " وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ.. وَحْدَهُ وَلَّوْا ".

- ولماذا؟

- إن الإله الواحد (الذي لا شريك له) إله قوي، مُتَعالٍ، عظيم، غالب على أمره، قاهر فوق عباده، عزيز إلى درجة أنه لا يُرى!

هو الوحيد الذي لا يُرى!!

لا يستطيع أحد أن يُغيِّر سُنَّة من سُنَنه، ولا حُكم من أحكامه، ولا أحد يستطيع أن يحقد عليه فيؤذيه، ولا أن يرضى عنه فينفعه، ... ليس بوسع أي إنسان إذا عرف ذلك الإله- سبحانه وتعالى- إلا أن يستسلم له!

ذلك الإله الذي قال: أنا اللّه الحي الذي لا يموت!

ولم يجرؤ أحد غيره أن يقولها!

ليس صنمًا عبده قوم النبي (إبراهيم) فدخل إبراهيم فكسَّره! ليس معبودًا نُصِبَ حول الكعبة فدخل النبي (محمد) فأشار إليه فسقط، ليس كـ(المسيح) الذي يتصوَّر أتباعه أنه تربَّص به أعداؤه وجرُّوه إلى الصليب فقتلوه مُعذَّبًا، ليس حلقة في سلسلة آلهة لا نهاية لها كما هو الحال في آلهة الهندوس ...

بل هو اللّه، الواحد، الأحد، الذي لا شريك له

عزيز! مَن عرفهُ دون تشويش خضع له، وتعالى بهِ على كل شيء..

إن استسلم الإنسان للّه وحده، ولم يستعظم "نجومًا" آخرين، ستكون مدرجات الجامعة فارغة في

وقت صلاة الظهر، وستكون ملاعب كرة القدم فارغة في وقت صلاة العصر، وستكون السِّنمات فارغة في وقت صلاة المغرب، والمسارح فارغة في وقت صلاة العشاء، والملاهي الليلية فارغة في وقت صلاة الفجر.. بل لن يكون هناك ملاهٍ ليلية أصلًا!

ليس استغناءً عن الجامعات والملاعب والمسارح، فلها دَور محترم في المجتمع، لكنّ ما يحدث الآن هو تشويش على نور الله، ذلك أن هناك مؤسسات وأصحاب مصالح في العالَم أسسوا أعمالهم على نظام معين، هم وضعوه بأنفسهم، واستمر كما وضعوه، هذا النظام له قوانين لا علاقة لها بالقوانين التي وضعها الله في الكَون وفي الشَّرع، يعني أنَّ لهم نظامًا مُوازيًا لنظام الله، وليس جزءًا منه، فصار هناك تعارُض بين النظامَين، وهم

يحتاجون إلى الدفاع عن نظامهم لأن لهم فيه منافع، ولذلك يحتاجون إلى جيش دفاع! جيش من النجوم لا يستطيع الجمهور مُقاومته، نجوم تصنع ضوضاء، أو تُثير شهوات، تسرح معها عمرك كله ثم تفيق في النهاية لتتساءل: مَن هؤلاء الذين أعطيتُهم عُمري ومالي واهتمامي؟! وأين كنتُ من الله الذي أنا إليه راجع؟!

إلى ذلك يُنبِّهُك الأذان..

أنَّ نجوم الأرض صغيرة، يحتاجونك فيُنادونك

وأنَّ الله أكبر، يُناديك ليُعطيك.

تمَّ بحمد الله

